جامعة قاصدي مرباح– ورقلة
كلية الآداب و اللغات
قسم اللغة و الأدب العربي

مـــــــــــــــــذكرة

مقدمة لنيل شـــــــــــهادة

المـــــــــــــــــاجستير

الفرع: الأدب العربي

التخصص: نقد حديث و معاصر

من إعداد الطالب:

ديوان السعيد.

الكتابة في النقد التفكيكي عند جاك دريدا

من خلال مؤلفه" الكتابة والاختلاف"

نوقشت يوم : الأحد 13 ديسمبر 2015

أمام لجنة المناقشة المكونة من :

أ.د / موساوي أحمد – جامعة قاصدي مرباح – ورقلة – مشرفا.

أ.د / جلولي العيد – جامعة قاصدي مرباح – ورقلة – رئيسا.

أ.د / مالكية بلقاسم – جامعة قاصدي مرباح – ورقلة – عضوا مناقشا.

د / بن طرية عمر – جامعة قاصدي مرباح – ورقلة – عضوا مناقشا.

السنة الجامعية : 2014 / 2015

بسم الله الرحمــن الرحيم

رب اشرح لي صدري و يسر لي أمري و احلل عقدة

من لساني يفقه قولي.

صدق الله العظيم

سورة طه: الآية 25 - 28

اللهم انفعنا بما علمتنا و زدنا علما

و صلى الله على سيدنا محمد و آله و صحبه و كل من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

الإهداء

أهدي هذا الجهد:

إلى والدتي و روح والدي.

إلى زوجتي العزيزة.

إلى كل من ساهم في هذا البحث من قريب أو بعيد.

شكر و عرفان

أتقدم بأسمى عبارات الشكر و التقدير و الامتنان:

- إلى أستاذي المشرف الأستاذ الدكتور: أحمد موساوي، الذي ذلل كل صعب و يسر كل عسير، و سهر على تمام هذا البحث.
- إلى زوجتي الكريمة: التي تقاسمت معي صعوبات هذا الجهد حتى النهاية .
- إلى صديقي و أخي: خشخوش رشيد، الذي زودني بالنصائح و التوجيهات التي ساهمت في إتمام هذا العمل.
- إلى جميع من ساعدني من قريب أو بعيد بكلمة أو فكرة أو مرجع أو بدعاء، آملين من الله التوفيق.

فاللهم أجزهم عني خير الجزاء.

مقدمة

إن الباحث في مجال الأدب بصفة عامة، و في مجال النقد بصفة خاصة تراوده، بل تعكر صفوة منامه جملة من التساؤلات التي قد تواجهه أثناء القراءة أو المطالعة خصوصا عند رواد المدارس النقدية المعاصرة، أو عند مفكري ما بعد الحداثة، لاسيما إذا كان للموضوع بعدا تاريخيا، و آخرا فلسفيا نقديا، كموضوعنا هذا الذي يحمل بعدا تاريخيا يتمثل في استقصاء فن الكتابة عند الشعوب، و الأمم القديمة والحديثة وفي المدارس اللسانية و النقدية، وبعدا فلسفيا نقديا يتعلق في نوعية نص المدونة.

غير أن مطمحنا من وراء هذا النشاط المتواضع لم يكن تتبع فن الكتابة عند القدامى و المحدثين و خصوصا التفكيكين، إنما أردنا أن نضع بين يدي القراء صورة واقعية لهاجس الكتابة عند جاك دريدا و سبب تأليهه لها، فما هي أهم الآليات التي ارتآها دريدا في تعظيمه للكتابة من خلال مؤلفه الشهير"الكتابة و الاختلاف"؟

و لم نشأ أن نضع عملنا هذا على منوال القضايا التي تتعلق بأخلاقيات الكتابة و الكاتب شكلا و مضمونا، بل آثرنا أن نعرفها عند أصحابها في مقالات مستقلة؛ بغية التخلص من الرتابة المألوفة في الكتابة حول هذا الموضوع.

إن إغراق البنيويين و خصوصا (دي سوسير) في تعظيم الكلمة المنطوقة هو ما دعا كثيرا من الباحثين إلى إعادة النظر في هذا الموضوع و نقد هذا الموقف خصوصا أعلام ما بعد البنيوية و في مقدمتهم جاك دريدا، الذي ألف ثلاثة كتب شكلت معالم مضيئة في مسار المشروع التفكيكي وهي " الكتابة و الاختلاف" " الصوت و الظاهرة " في علم الكتابة "؛ و قد أثارت هذه المؤلفات ضجة كبيرة في أوساط الدارسين المعاصرين فانكبوا عليها بالدراسة و التحليل و النقد، فهذه الدراسات المتنوعة حول آراء دريدا في الكتابة، كانت لنا حقلا خصبا في تناول هذا الموضوع، و رغم كثافة هذه الدراسات، لم نعثر بالتحديد على بحوث تناولت مصطلح الكتابة بوجه خاص أو أفردت له الجهد الكامل (على حسب اطلاعنا) بل كانت آراء مبعثرة هنا و هناك، و للأمانة العلمية يجب أن نشير إلى الدراسات التي

قد سبقتنا و تعرض لمصطلح الكتابة عند دريدا، و إن لم تكن قد تعرضت له بوجهة نقدية أو أنها قد تناولت هذا المصطلح مع بقية المعايير الأخرى للنقد الدريدي فمن أبرز هذه المصادر نذكر كتاب " تأويلات و تفكيكات " لـ: " محمد شوقي الزين " و كتاب " دليل الناقد الأدبي " لـ: " سعد البازعي و ميجان الرويلي " و كذلك: " الخطيئة و التكفير" لـ: عبد الله الغذامي، و كتاب " مناهج النقد الأدبي " لـ: يوسف وغليسي، وكذلك كتاب: " المصطلحات الأدبية " لمحمد عناني، مع جملة من المعاجم العربية القديمة و الحديثة و التي نذكر منها " لسان العرب " لابن منظور،" المصباح المنير" للفيومي، " أساس البلاغة" للزمخشري و " الأداء " لأمل عبد العزيز محمود؛ كما اعتمدنا على جملة من المقالات المتعلقة بموضوع الدراسة مقالات: د. محمد سالم سعد الله و جون ستروك، فصول " مجلة النقد الأدبي ".

و قد استفدنا من كل هذه الدراسات التي تحتم علينا الإحاطة بالموضوع من عدة جوانب و لملمة شتاته، و من الملاحظ أن جل الدراسات السابقة لم تركز دراستها على علم الكتابة بوجه خاص و هذا ما دفعنا للإقدام على هذا البحث لما فيه من جدة- حسب اطلاعنا- وقد عنوناه بـ (الكتابة في النقد التفكيكي عند جاك دريدا من خلال مؤلفه:" الكتابة و الاختلاف")، و ما كان اختيارنا لهذا العنوان اختيارا اعتباطيا، بل إن لكل دراسة أثرها الكبير في تشكل هذه النظرة النقدية، و كذا لإهمال المجتمعات و خصوصا العربية للتدوين و الكتابة و تجاهل دورها الفعال في حياة الأفراد و المجتمعات الإنسانية و رقيها، فهذه الأسباب مجتمعة دفعتني للكتابة في هذا الموضوع خصوصا، أما بسبب ما يتعلق باختياري لـ: "جاك دريدا" دون سواه ذلك كونه مؤسس مدرسة التفكيك من جهة، و آرائه الفريدة الغربية المشوقة في هذا الموضوع، كما أن طبيعة الاختصاص وجهتنا هذه الوجهة.

أما فيما يتعلق بالمدونة فقد شد انتباهنا كتاب " الكتابة و الاختلاف" لما فيه من آراء لدريدا حول عنصر الكتابة و ما يشتمل عليه من غموض و خفاء بحاجة

إلى البحث و الدراسة، قصد إفادة الدارسين و المهتمين بالدراسات المعاصرة، إضافة إلى إثراء المكتبة بطرح جديد ليضاف إلى جملة الدراسات المتعلقة بالميتانقد المعاصرة، كما أن الفضل الكبير يعود إلى أساتذتنا الأفاضل الذين كان لهم الدور الكبير في تشكيل و نضج رؤيتنا النقدية و هدينا طريق السداد الذي من خلاله لا نحيد عن متطلبات الدراسة الجادة و المزودة بالحذر و الحيطة و احترام آراء الآخرين و التواضع، و كذا الاستفادة من الخبرات السابقة و مواكبة كل جديد بغية تحريك العجلة النقدية خطوة نحو الأمام.

و للقيام بهذا البحث بصورة تضمن لنا الكشف عن نظرة دريدا للكتابة، ارتأينا أن تكون الدراسة وفق مخطط قسمناه كالتالي:

الفصل الأول، و عنوناه بـ: "الكتابة بين القدامى و المحدثين" في مقدمته تعريفات لغوية و اصطلاحية تسمح للقراء بمعرفة علم الكتابة قصد تسهيل الولوج إلى موضوع الدراسة كما تقصينا ظاهرة الكتابة منذ ظهورها عند الشعوب القديمة إلى يومنا هذا و نظرة الشعوب و الأمم إليها. كما أجرينا مقارنة بين الكتابة والمشافهة مستنبطين خصائص كل منهما و قد أعقبنا هذا الفصل بفصل آخر فحواه "الكتابة عند التفكيكين " وفيه تتبعنا ظهور المدرسة التفكيكية كما وقفنا عند تعريف التفكيك و أشهر أعلامه و نظرتهم إلى الأدب و ركزنا هنا على نظرة دريدا للكتابة بصفة عامة، كما لم نغفل عن نظرة العرب للتفكيك.

أما الفصل الأخير فعنوناه بـ:" نظرة دريدا للكتابة من خلال مؤلفه الكتابة والاختلاف"، و في هذا الفصل وقفنا عند ترجمة لجاك دريدا، قصد التعرف على تكوين هذه الشخصية وأهم ما قيل فيه، ثم تناولنا المدونة من جميع جوانبها إذ تحدثنا عن أسباب ظهور كتاب "الكتابة و الاختلاف" و العناوين التي صدر بها وأهم ما قيل حوله كما تطرقنا إلى مضمونه بالدراسة و النقد مركزين على نظرة وفهم دريدا لعنصر الكتابة فيه، لنختم بحثنا بأهم النتائج التي تمخضت عن الفصول السابقة المدروسة.

و لعله من أصعب ما واجهنا في بداية الدراسة هو اختيار المنهجية المناسبة لإنجاز البحث و هذا ما يجعل الكثير يسعى إلى البحث في الأساليب و الطرائق والآليات التي تسهل إنجاز البحث، و في الحقيقة أنه ليس ثمة طريقة واحدة، لأن ذلك يختلف باختلاف طبيعة الموضوع الذي اختاره الباحث و هو الذي يحتم عليه اختيار المنهج المناسب الذي يجيب من خلاله عن جملة التساؤلات المطروحة و قد آثرت الاعتماد في بادئ الأمر على المنهج التاريخي الذي تقتضيه ضرورة تعاملي مع مصطلح الكتابة عند الأقدمين وصولا إلى الفترة المعاصرة، ثم خصصت فيما بعد اعتمادي على المنهج التحليلي الذي يعنى بالتحليل لعلم الكتابة في النقد التفكيكي عند جاك دريدا من خلال مؤلفه " الكتابة و الاختلاف" و ذلك بتحليل رؤيته لعلم الكتابة، و هذا ما جعلني ملزما بالمزاوجة بين منهجين مختلفين قصد تتبع و تحليل المصطلح (علم الكتابة) و تتبع أثره و دوره في النصوص الأدبية وكذا توضيح رفضه أو تشييده من قبل جمهور المتلقين أو النقاد عبر الأعصر وصولا إلى النقد التفكيكي و خصوصا عند جاك دريدا في كتابه: " الكتابة والاختلاف".

و كون الدراسة أخذت جوانب متعددة، كانت المراجع الأساسية حسب نوعية الموضوع، ففي تعريف الكتابة في اللغة استعنا بجملة من المعاجم و على رأسها " لسان العرب" لابن منظور و " أساس البلاغة" للزمخشري، و أثناء الحديث عن تطور علم الكتابة اعتمدنا على كتاب " التراث العربي الإسلامي" لـ: د. حسين محمد سليمان؛ و كان من أهم المراجع في الحديث عن المدرسة التفكيكية و جهود دريدا فيها كتاب " دليل الناقد الادبي" لـ: سعد البازعي و ميجان الرويلي، وكتاب " جاك دريدا" محمد شوقي الزين، بالإضافة إلى " مناهج النقد الأدبي" لـ : يوسف وغليسي و كذا المدونة " الكتابة و الاختلاف " لجاك دريدا ترجمة كاظم جهاد.

و لقد اعترضتنا أثناء البحث بعض الصعوبات و العقبات، التي كادت تعرقل مسيرتنا لولا مساندة أستاذنا المشرف و تبسيطه لما حسبناه لن يهون، و تذليله لجميع العقبات و التي نذكر من بينها:

- عدم عثورنا على الترجمة الكاملة للكتاب الأصلي " الكتابة و الاختلاف" لجاك دريدا، غير أن الله وفقنا لترجمة كاظم جهاد، و التي لم تخلو كذلك من الإضافات و الحذف، غير أننا وجدنا فيها ضالتنا و استقينا منها مرادنا.

- و من أشد الصعوبات على الإطلاق لغة جاك دريدا ذاتها فأثناء تعاملك معها تحس و كأنك تسير فوق سطح أملس، فإن ركزت على ثبات خطواتك انساب المعنى و تشتت، و أن ركزت على المعنى فقدت رجلاك التوازن فسقطت.

- كما أن الطبيعة الفلسفية للموضوع تحتم عليك المرور على بعض النقاط أحيانا مرور الكرام، لأنها قد تلوح بك في استطرادات لا طائل من ورائها في خدمة موضوع الدراسة.

- و من الملاحظ كذلك أن من عالج آراء دريدا من قبلي قد أحس بصعوبة أفكاره و غرابتها و تفككها حتى وصف" بالمفكر الصعب".

و أخيرا أتقدم بأسمى عبارات الشكر و التقدير لأستاذي المشرف: الدكتور أحمد موساوي الذي لم يبخل عليا بنصائحه و رعايته لإنجاح بحثي منذ الانطلاقة حتى وضع نقطة النهاية فيه، كما أشكر بقية أعضاء لجنة المناقشة الموقرين، إذ لن يكون لهذا البحث قيمة إلا بعد الاستفادة من جميع نصائحهم و توجيهاتهم الساعية إلى إتمام ما فيه من نقائص، و الله الموفق.

ديوان السعيد

نوفمبر 2013 م

الفصل الأول

أصول الكتابة و تطورها

1- تعريفات لغوية و اصطلاحية للموضوع .

2- الكتابة بين القدامى و المحدثين.

3- الكتابة عند العرب.

4- بين الكتابة و المشافهة.

أولا: تعريفات لغوية و اصطلاحية:

I- تعريف الكتابة:

I-1-الكتابة لغـــة:

كَتَبَ: من باب قتل، وكتب: الكتاب: والجمع كتب، وكتب الشيء يكتبه كتبا وكتابا وكتابة وكتبه خطه.[1] والكتابة: الاسم لأنها صناعة كالنجارة والعطارة[2] و"الكتابة ": ما كتب؛ تصوير الألفاظ بحروف هجائية.[3]وكتب الكتاب يكتبه وكتبة وكتابا واكتتبه كتابة لنفسه:استنسخه،ويكتب الناس: يعلمهم الكتابة [4]. و(الكتاب): الفرض والحكم والقدر وتطلق أيضا على المنزل وعلى ما يكتبه الشخص ويرسله، والكتاب ما كتب فيه. و(الكاتب) عند العرب: العالم ومنه قوله تعالى " أم عندهم الغيب فهم يكتبون " الآية.(والمكتب): الذي يعلم الكتابة واستكتبه الشيء:

وتطلق (الكتبة) والكتاب على المكتوب.سأله أن يكتبه له.[5] أما (الكتاب): والجمع كتاتيب: المدرسة الصغيرة؛ موضع الكتابة.[6]

وقد ورد في اللسان لابن منظور أيضا أن الكتابة أن يكاتب الرجل عبده على مال يؤديه إليه منجما، فإذا أداه صار حرا، قال: وسميت (كتابة) بمصدر كتب، لأنه يكتب على نفسه لمولاه ثمنه، ويكتب مولاه له عليه العتق.

ويقال: كتب الغلام وأكتبته وأكتبني هذه القصيدة أملها علي .

---

(1)ينظر: لسان العرب: جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور ، تح : عامر أحمد حيدر ، مج 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2003 ، ص 820 – 822 .

(2) ينظر: المصباح المنير: أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 2004، ص 270 – 271.

(3)ينظر: المتقن: إعداد، د. هزار راتب. وآخرون ، تنقيح : أستاذ . محمد عبد الرحمن الأسود وآخرون ، دار الراتب الجامعية ، بيروت ، لبنان ، ص 558 – 559

(4) ينظر: أساس البلاغة : جار الله ابي القاسم محمد بن عمر الزمخشري ، مراجعة وتحقيق إبراهيم قلاتي ، دار الهدى ، الجزائر ، دط ، دت ، ص 569 – 570 .

(5)ينظر: مختار الصحاح : محمد بن ابي بكر عبد القادر الرازي ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، لبنان ، 1998، ص 562 .

(6)ينظر: الأداء، القاموس العربي الشامل: أمل عبد العزيز محمود دار الراتب الجامعية، ط1، 1997، بيروت، ص 478 – 479.

ومن المجاز: كتب عليه كذا: قضي عليه. وكتب الله الأجل و الرزق، وكتب على عباده الطاعة و على نفسه الرحمة وهذا كتاب الله قدره. [1]

و من هذا كله نخلص إلى أن الكتابة هي النسخ والخط وهي تصوير الألفاظ بحروف هجائية.

I-2-الكتابة اصطلاحـــــــا :

" إن الكتابة على اختلافها و تباين تقنياتها و مستوياتها تجسد طموح الكائن الإنساني إلى تأسيس منظومة رمزية مستقلة عنه لكن لا تفهم بدونه، و تدفع إلى التحقيق همًا أبديا لازمه في دروب كينونته الأولى و هو وهم الكتابة، أو تدوين المقولات اللفظية و التصورات الذهنية".[2]

كما تفيد الكتابة في معناها المباشر التسجيل و الخط الذي من شأنه تدوين القول وحسب.[3]

وقد جاء في الشعر عن الكتابة :

رُبْعُ الْكِتَابَةِ فِي سَوَادِ مِدَادِهَا وَالرُّبْـــعُ مِنْهَا كَـتْبَةُ الْكُتَّابِ

وَالرُّبْعُ مِنْ قَلَـــمٍ سَوِيٍّ بَرْيُهُ وَعَلَى الْكَوَاغِدِ رَابعُ الأَسْبَابِ [4]

علما بأن الكتابة تشكل الأثر الحي الذي خلفه الإنسان دليلا على وجوده التاريخي من جهة، و حاويا لفكره و تصوره و رؤيته للحياة و العلم من حوله.

ثانيا: الكتابة بين القدامى و المحدثين:

ظهـور الكتابـة:

(1) أساس البلاغة للزمخشري : مرجع سابق ، ص 270 .

(2) من النسق إلى الذات : د . عمر مهيبل ، منشورات الاختلاف ، ط1 ، 2001 ، ص 13.

(3) نظرية الكتابة في النقد العربي القديم: د.حبيب مونسي ،دار الغرب للنشر والتوزيع،وهران،ط1 ،2001، ص 4.

(4) ينظر : دروس الخط العربي : محمد بن سعيد شريفي ، دار موفم للنشر ، الجزائر ، ط 1 ، 2010 ، ص37 .

وجد الإنسان نفسه غير قادر على التفاهم مع الآخرين فاهتدى إلى اللغة وعايش المجتمعات الأخرى، فاخترع الكتابة لحفظ إنتاجه الفكري وميراثه الثقافي والعلمي من الاندثار ولتتوارثه الأجيال اللاحقة.

ففي سنة 5000 ق م ابتدع الإنسان الكتابة في بلاد الرافدين مع التوسع في الزراعة وبداية ظهور المدن والمجتمعات الحضرية ورواج التجارة وظهور العربة ذات العجلة والسفن الشراعية.

فكانت اللغة أداة تواصل وتفاهم، ظهرت الكتابة على الألواح الطينية Clay table باللغة المسمارية عام 3600 ق م وكان ينقش على الطين وهو طري بقلم سته رفيع، ثم يجفف الطين في النار أو الشمس.[1]

فالكتابة إذا فعل متأصل في الإنسان منذ أقدم الحضارات بل هي علم له قواعده وأسسه وبنيته القائمة[2] وفي ما يلي إشارات لتتبع ظهور الكتابة.

II-1- عند الشعوب القديمة:

II-1-1-المسمارية :

الكتابة المسمارية نوع من الكتابة تنقش فوق ألواح الطين والحجر والمعادن وغيرها وهذه الكتابة كانت متداولة لدى الشعوب القديمة بجنوب غربي آسيا ،وأول

(1) مجلة العلم : أكاديمية البحث العلمي ، القاهرة ، العدد رقم : 01 ، سنة 1990 .

(2) من النسق إلى الذات : د . عمر مهيبل، ص 13 .

هذه المخطوطات اللوحية ترجع إلى سنة 3000 ق. م وهذه الكتابة تسبق ظهور الأبجدية منذ 1500 سنة،وظلت هذه الكتابة سائدة حتى القرن الأول ميلادي.

وهذه الكتابات ظهرت أولا جنوب بلاد الرافدين بالعراق لدى السومريين للتعبير بها عن اللغة السومرية وكانت ملائمة لكتابة اللغة الآكادية والتي يتكلمها البابليون والآشوريون وتم اختراع الكتابة التصويرية في بلاد مابين النهرين قبل العام 3000 ق. م حيث كانت تدون بالنقش على ألواح من الطين أو المعادن أو الشمع وغيرها من المواد .

وتطورت الكتابة من استعمال الصور إلى استعمال الأنماط المنحوتة بالمسامير والتي تعرف بالكتابة المسمارية وأول كتابة تم التعرف عليها هي الكتابة السومرية والتي لا تمت بصلة إلى أي لغة معاصرة[1].

وبحلول عام 2400 ق. م تم اعتماد الخط المسماري لكتابة اللغة الآكادية، كما استعمل نفس الخط في كتابة اللغة الآشورية والبابلية ، وهي كلها لغات سامية مثل اللغتين العربية والعبرية .

وتواصل استعمال الخط المسماري للكتابة في لغات البلاد المجاورة لبلاد مابين النهرين مثل لغة الحطيين (الحيثيين) واللغة الفارسية القديمة، وكانت تستعمل إلى نهاية القرن الأول الميلادي [2]

و تم فك رموز الخط المسماري في القرن التاسع عشر وبذلك تسنى للعلماء قراءة النصوص الإدارية والرياضية والتاريخية والفلكية والمدرسية والطلاسم والملاحم والرسائل والقواميس المسمارية. وأيام حكم الملك حمو رابي (1728-

(1) مجلة العلم :أكاديمية البحث العلمي , القاهرة ,العدد رقم 01 ,,سنة1990 .
(2) معجم المصطلحات الألسنية : د . مبارك مبارك ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، 1995م ، ص 35 .

1686 ق .م) دونت العلوم فانتقلت الحضارة من بلاد الرافدين في العصر البابلي القديم إلى جميع أنحاء المشرق وإلى أطراف العالم القديم .

وكان البابليون والسومريون والآشوريون بالعراق يصنعون من عجينة الصلصال مسحوق الكاولين ألواحهم الطينية الشهيرة التي كانوا يكتبون عليها بآلة مدببة من البوص بلغتهم السومرية.

والكتابة في أوروبا بدأت على شكل صور تعبر عن الحياة اليومية، كبعض النقوش والصور التي عمرها 35000 سنة كما وجدت في كهوف " لاسكو " في فرنسا و " التميرا" في إسبانيا كانت لغة مصورة في شكلها البدائي. وقد كانت الكتابة في بداية عهدها عبارة عن صور توحي تماما بما رسم فيها، ثم تطورت إلى صور رمزية توحي بمعنى معين وكانت هذه الرموز يصعب فهم العامة لها، فعمدوا إلى استعمال رموز توحي بأصوات معينة وهذه الرموز الصوتية كانت خطوة أساسية في نشوء الأبجدية وفي تطور الكتابة فيما بعد [1]

II-1-2-الهيروغليفية:

ظهرت اللغة الهيروغليفية Hieroglyphs لأول مرة في مخطوط رسمي ما بين عامي 3300 ق. م و 3200 ق. م و كان يسمى هيروغليفي وكلمة هيروغليفية تعني بالإغريقية النقش المقدس، وفي هذا المخطوط استخدمت الرموز

[1] موسوعة حضارة العالم : د . أحمد محمد عوف ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط 1 : 1991 م ،ج 9 ، ص 3- 5 .

فيه لتعبر عن أصوات أولية وأخذت الهيروغليفية صورها من الصور الشائعة في البيئة المصرية، وكانت تضم الأعداد والأسماء وبعض السلع

وفي عصر الفراعنة استعملت الهيروغليفية لنقش أو زخرفة النصوص الدينية على جدران القصور والمعابد والمقابر وسطح التماثيل والألواح الحجرية المنقوشة والألواح الخشبية الملونة وظلت الهيروغليفية ككتابة متداولة حتى القرن الرابع ميلادي وظهرت الهيراطيقيةHieratic

كنوع من الكتابة لدى قدماء المصريين وهي مشتقة من الهيروغليفية لكنها مبسطة ومختصرة وهي مؤهلة للكتابة السريعة للخطابات والوثائق الإدارية والقانونية .

وظلت هذه اللغة سائدة بمصر حتى القرن السابع ق م بعدما حلت اللغة الديموطيقية محلها [1] .

II-1-3- المروية:

عرفت اللغة المروية من عدة كتابات أثرية وجدت في وادي النيل مابين أسوان شمالا وسوبا جنوبا وكانت هذه اللغة تكتب على نهجين هما الهيروغليفية المروية و الديموطيقية المروية (الكتابة بالصور والكتابة بالحروف) [1]

[1] المرجع نفسه : ص 37 .
[1] موسوعة حضارة العالم : د . أحمد محمد عوف ، ص 2 .

وتتكون الحروف الهجائية للغة المروية من ثلاث وعشرين حرفا، منها أربعة حروف معتلة وتسعة عشر حرفا من الحروف الساكنة ولم تحل رموزها حتى الآن واللغة المروية تنتمي إلى اللغات الحامية وبعد أن أفل نجم مروي حلت اللغة النوبية محل اللغة المروية في السودان ووادي النيل ،وبعد ذلك كتبت اللغة النوبية بالأبجدية القبطية التي أضاف إليها النوبيون ثلاثة حروف لأصوات لا توجد في اللغتين القبطية وعليه فقد استعملوا أربعة وثلاثين حرفا لكتابة هذه اللغة [2] .

وكان قدماء المصريين والإغريق والرومان يمارسون النساخة للكتب بخط اليد بالريشة أو القلم بعد غمسها في الحبر السائل ليكتب بها فوق ورق البردي أو فوق الآوستراكا ، وظل هذا الأسلوب في النسخ اليدوي متداولا حتى أيام العرب حيث كانوا يكتبون كلماتهم فوق الرق والجلد والعظام [3] .

II-2-عند اليونان:(الأبجدية الفينيقية):

ابتكر الفينيقيون سكان السواحل الشرقية لحوض البحر الأبيض المتوسط حوالي سنة 1100 ق.م الكتابة الفينيقية واستمدوها من الكتابة السومرية والمصرية القديمة، فابتكروا الأبجدية الفينيقية وجعلوا لها حروفا وكل حرف يمثل صوتا معينا[1] ، وقد تألفت الأبجدية الفينيقية من مجموعة محدودة تحتوي على أربعة

---

[2] مجلة العلم : أكاديمية البحث العلمي ، القاهرة ، العدد رقم : 01 ، سنة 1990 .

[3] معجم المصطلحات الألسنية : د . مبارك مبارك ، 1995 م ، ص 33 .

[1]مجلة العلم:أكاديمية البحث العلمي , القاهرة ,العدد رقم 01 ,,سنة1990

وعشرين رمزا ملحقا بأصوات صامتة منفردة، وهذه الحروف أصبحت سهلة الكتابة وكانت أساسا للكتابة في الشرق والغرب بالعالم القديم، وعندما طور الإغريق أبجديتهم التي نقلوها عن الفينيقيين حوالي سنة 403 ق.م وأصبحت أساسا للأبجدية في الغرب، حيث أخذ الرومان لأبجديتهم عنها، فأخذوا منها حروفا وأدخلوا عليها حروفا أخرى وسادت الأبجدية الرومانية و اللغة اللاتينية بلاد أوروبا إبان حكم الإمبراطورية الرومانية وبعد ذلك أصبحت الكتابة الأيونية عموما كتابة متداولة ومتفق عليها في حكومات المدن اليونانية وهي بالأصل الكتابة التي استعملها أبناء " أيونا " على سواحل آسيا الصغرى وكان للأنكا بالمكسيك نظام كتابة يطلق عليه كويبي Quipu وهو سلسلة من الخيوط القصيرة والمعقودة كانت تعلق على فترات بحبل معلق طويل ومختلفة الألوان ومن نوع واحد، ومن خلال المسافات بين هذه الخيوط والعقد استطاع الأنكا تسجيل السكان والقوات والضرائب ...

وكانت الكتابة لدى " الإزتك " بأمريكا الوسطى عبارة عن كتابة بيكتوجرافية حيث كانت تكتب برسم أو نقش الصور لتعبر عن الحروف أو صور صغيرة ترمز للأشياء ومقاطع الأصوات Syllables [2] .

II-3- عند الإغريق:

اللغة الإغريقية من أسلاف اللغة اليونانية و حقبة من تطورها التاريخي وتقسم إلى فترتين:

- القديمة (من القرن الحادي عشر أو التاسع ق.م و حتى القرن السادس ق.م).
- والكلاسيكية (بين القرنين الخامس و الرابع ق.م)

[2] موسوعة حضارة العالم : د.أحمد محمد عوف ، ص55.

و قد كانت اللغة الإغريقية تنقسم في كل فترة من فتراتها إلى عدد من لهجات محلية وتنتشر في كامل أنحاء العالم الإغريقي.

واللغة الإغريقية منقولة عن الفينيقيين حوالي سنة 403 ق.م لكنهم طوروها وأصبحت أساسا للأبجدية في الغرب[1] .

ثالثا: الكتابة عند العرب :

مدخل:

اختلفت الآراء والنظريات في أصل الكتابة العربية فمنها ما قام على فروض غيبية وأسطورية لا تستند إلى أساس من الواقع ولكن النقوش التي وجدت في شمال شبه الجزيرة العربية أزالت اللبس في هذا الأمر وأوضحت أصل الكتابة العربية،

(1) مجلة العلم: أكاديمية البحث العلمي , القاهرة ,العدد رقم 01 ,,سنة 1990

وقبل عرض في هذا الأمر لا بد أن نسوق أولا وجهات النظر المختلفة، فقد ذهب الباحثون في أصل الكتابة العربية مذاهب شتى منها الرأي الذي يقول أنها وقف من الله تعالى، علمها آدم وأن إسماعيل هو أول من نطق العربية ومن بعده نشأت العربية إلى يومنا هذا .

و الرأي الآخر يرى أن أقدم حلقة في سلسلة الخط العربي هي الكتابة الهيروغليفية وهي إحدى كتابات المصريين القدماء وأنها أصل الكتابات المعروفة الآن في العالم المتمدن[1]

أما الرأي الحديث فإنه يجزم بأن عرب الشمال لم يعرفوا الكتابة إلا حين كان لهم اتصال بالمدينة وذلك نتيجة هجرتهم من قلب الجزيرة وأوساطها إلى أطرافها المتحضرة وفي هذه البقاع خرج العرب عن طبيعتهم البدوية،على عكس عرب جنوب اليمن الذين عرفوا الكتابة بالخط المسند.

ويذهب بعض العلماء إلى أن المسند اليمني هو أصل الأبجدية العربية التي كانت تعرف بخط الجزم لأنها اقتطعت من المسند اليمني، ويميل بعض الباحثين المعاصرين إلى هذا الرأي منافحين عنه ومؤكدين على صحة ذلك أبرزهم محمد مأدون في كتابه (خط الجزم ابن الخط المسند) [2]

III-1- الكتابة عند العرب في العصر الجاهلي:

من هذا كله رأينا بأن هناك فراغا في أذهان كثير من الباحثين حول الخط العربي وادعاء تأخر القراءة والكتابة.

والمهم أننا نستنتج أن العصر الجاهلي الذي كان فترة طويلة الأمد عاصر التطورات الحضارية القديمة سواء في اليمن أو البتراء وتدمر والحيرة، ومن

(1) موسوعة حضارة العالم : د.أحمد محمد عوف ، ص 07 .

[2] التراث العربي الإسلامي: د. حسين محمد سليمان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 4، 1988، ص204.

الطبيعي أن يكون لهذه الحضارات سجلات مهما اختلف هدفها وهذه الأخيرة مكتوبة ومدونة في سجلات منقولة تأثر عرب الجاهلية بها، وإن لم يكن منتشرا وإن التدوين كان في سجلات لديهم [1]

ويؤكد ذلك ما جاء بكتاب الله الكريم المنزل : " وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا "[1] و في قوله: " وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴿ 90 ﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿ 91 ﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿ 92 ﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴿ 93 ﴾ "[2] وقوله

---

[1] التراث العربي الإسلامي : د.حسين محمد سليمان ، ص 204 – 205 .

(1) الفرقان: الآية 5.

(2) الإسراء: الآية 90 - 93 .

تعالى " وَالطُّورِ (1) وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ (2) فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ (3)"[3] وقوله أيضا: " ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ(1) "[4] والآيات تشير إلى معرفة العرب بالكتابة ومن ثم كان للعرب مدونات ومسجلات ولا يعني مسجلات منقوشة على الحجر وغيره فقط بل من خلال الآيات تظهر أن هناك مادة أيسر منه كالبردي أو الرق أو سعف النخيل[5]. و حقيقته أن الغموض يسدل أستاره على بداية التدوين أو التسجيل قبل الإسلام وإن اتضحت من الأخبار التي ناقشت تدوين تاريخ الجاهلية وأشعارها أن أقدم أخبار هذه الفترة لا يتجاوز القرن السابق لمبعث رسول الله ρ ولم تذكر أسماء الكتب أو المدونات المتداولة في هذا العصر ولكن بشيء من البحث والدراسة والملاحظة نجد في المصادر القديمة ـ نقلا ـ أن هذا الشاعر أو الخطيب أو غيره كان ممن يقرأ في الكتب القديمة أو يجمعها ومن هؤلاء أمية بن أبي الصلت الثقفي وقس بن ساعدة الأيادي.[6]

ومادامت اللغة العربية قد مرت في طريق طويل حتى وصلت إلى ما وصلت إليه بما هو ظاهر في الشعر الجاهلي قبل الإسلام، فمن الطبيعي أن يسير مع هذا الأمر عملية التسجيل والكتابة ولو بشكل أقل حركة، وإلا ما عرفنا حروفها ومفرداتها التي مما لا شك نمت معها لأن اللغة عامة والشعر والكلام المقفى خاصة هو الوسيلة التي اعتمد عليها التراث الذي تركه العرب في العصر الجاهلي لتخليد مآثرهم وحياتهم المختلفة، بل وكانت قريش ـ زعيمة الحجاز ـ خاصة في الفصاحة والحكم واللسان ما ليس لغيرهم، ولا شك أن هناك من قريش من كانت له حاجة

---

(3) الطور: الآية 1 – 3 .

(4) القلم: الآية 1.

(5) التراث العربي الإسلامي: د. حسين محمد سليمان، ص 203.

(6) تاريخ التراث : فؤاد سنركين ،جامعة الملك سعود، المجلد الأول ،ط1 ،1991،ج 4 ، ص 27 .

في تسجيل الشعر أو المعاملات التجارية أو الرسائل ولكن كانت مهنة الكتابة ـ شأن المعلم ـ مهنة ارتزاق لصغارى القوم لأنها من المهن الدنيا، وهذا ما ينسب للحجاج وأبيه والأخير عاش قبل الإسلام .[1]

أما الكتابة خارج الحجاز فمما لاشك فيه أن الجزيرة العربية لم تكن معزولة عن العالم الخارجي، من سكنها من عرب الأطراف أو الصحراء أو اليمن أو الحجاز، وقد كان لعلاقات الدولتين المتحضرتين فارس والروم فضلا عن الحبشة ومصر دور كبير في نشاط التجارة والسماح للتجار العرب ـ بالمتاجرة ـ من بلاد فارس وبالتالي تبادل المعارف والمنافع، أما وسائل الكتابة فكانت متوفرة في مصر وفارس من ورق البردي أو الورق الخراساني أو غيرها .و كان لسوق عكاظ ـ السوق الأدبية والتجارية ـ السبق في نشر قصائد الشعراء وأشعارهم فقد كانت مؤتمرا ثقافيا لسائر القبائل العربية ولم يرد ذلك عن سوق سواها. أما في الأطراف فقد كان عرب الشام النازلين الطرف الشمالي من الجزيرة وهم الغساسنة، وقد ظلوا متعلقين بالبداوة وعلى عروبتهم فقد كانوا يكتبون الطقوس المسيحية التي يعتنقونها على وسائل الكتابة التي يستخدمها البيزنطيون وشعوبهم، ولكن لغتهم لم تكن بلغة قريش الصريحة البليغة لما بها من بعض التراكيب والمفردات الآرامية "[2]

التي كان بها الخط الحميري المسند الذي يكتب على شكل حروف الألف والباء ..."[1] ، وقد كانت لهم كتب مكتوبة بالعربية وكتب بالآرامية كما وجدت مدونة لدى المناذرة في الحيرة، لأنهم كانوا يرسلون أبناءهم إلى الكتاب ليتعلموا القراءة والكتابة العربية ، والكتاب كان موجودا في أراضي الجزيرة عامة وفي الحجاز خاصة كما أثبتت الدراسات ، أما الأوس والخزرج فكانوا يتعلمون الكتابة على يد اليهود القاطنين بيثرب وكان بالطائف بعض الكتاب لتعليم القراءة والكتابة،

(1) التراث العربي الإسلامي: د. حسين محمد سليمان، ص 205 – 206.

(2)المرجع نفسه، ص 207 – 208.

(1)ينظر: الأمالي في أصول الكتابة العربية : أ ، د ، آدم ثوليبني، دار الصفاء للنشر والتوزيع ، عمان ، ط 1 ، 2006 ، ص 9 .

بل أن بعض أهل مكة والطائف كانوا يبعثون أبناءهم إلى الحيرة وغيرها ليعلموا ما ليس متوفرا في بلدهم ، فقد قيل أن قريشا أخذت الكتابة من الحيرة.

أما خارج الحجاز فيمكن القول أنه لا يعقل أن يكون أهل المدن الحجازية، أصحاب الرحلات التجارية التي تتبادل فيها الأفكار والحضارة أن يضلوا إلى درجة الأمية ولم يكن لهم حظ في الكتابة والقراءة بمقدار ما كان لبني قومهم الذين يحيطون بهم من الجنوب والشمال.

و قد تكون الكتابة غير ميسورة بشكل عام في القبائل الضاربة عرض الصحراء الطويلة الكبيرة إلا أن أهل الحضر مثل مكة والطائف لا ينطبق عليهم هذا بل إن الكتابة كانت طيبة فيها لحاجة أهلها لتسجيل المعاملات المالية والاتفاقيات وبعض الأشعار... ونضرب لذلك مثالا، بالمغيرة بن شعبة الذي عاش فترة كبيرة في الجاهلية كان يعرف الكتابة وأمية بن أبي الصلت قرأ في كتب الأديان السماوية كالمسيحية واليهودية وكذا ورقة بن نوفل .

وممن كان يعرف الكتابة والتدوين قبل الإسلام بعض الصحابة الذين حسن إسلامهم ومنهم: أبو بكر الصديق، خالد بن الوليد، عمرو بن العاص[2].

ولم يقتصر الأمر على الرجال فقط بل كان هناك من النساء من يستطعن الكتابة والتدوين والقراءة ومنهم الكاهنة الخثعمية وكذا الشفاء بنت عبد الله العدوية وأخت عمر بن الخطاب وعائشة بنت سعد وكريمة بنت المقداد وكريمة موسى بن يعقوب [1] .

III-2- الكتابة عند العرب في عصر الإسلام:

مدخل:

(2)التراث العربي الإسلامي: د. حسين محمد سليمان، ص 209.

(1)التراث العربي الإسلامي: د. حسين محمد سليمان، ص 211.

يعتبر النص القرآني حدثا هائلا هز كل ما كان سائدا في جميع الجوانب وبهذا يعد حقا النواة لكل فعل إبداعي لاحق سواء ما تعلق باللغة أو ما جال في فضاءات الفكر المختلفة ، وهذا بالفعل ما شهدته حركة التأليف التي جعلت القرآن الكريم قبلتها تقترب منه في انشغالاتها المتعددة تقعيدا وتفسيرا وأدبا فانتقل الفكر العربي من المطارحات الشفاهية لاصطناع أداة التأليف في إنجاب المجلدات ، فأضحت الكتابة تحتل منه مكانة هائلة محاولة بذلك مضاهاة النموذج القائم بين يديها تتأنق في اختيار الألفاظ وسبك العبارات وتنضيدها[2].ونعتقد أنه منه بدأت تتضح بما يعرف بقضية اللفظ والمعنى التي عني بها النقد العربي القديم وأسهب فيها مما أدى فيما بعد إلى تشكيل زاوية انحراف في الذائقة العربية ومنه في أساليب الكتابة .

ومن الملاحظ أن القرآن الكريم كرم لفظة القراءة ومشتقاتها حينما نزلت أول آية من آياته بها :" اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الإنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأكْرَمُ(3)الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ(4)عَلَّمَ الإنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ(5)"[3]،ومما يدل أن الكتابة عند العرب عرفت بالقلم من قوله تعالى: "ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ(1) "[4]، والسطر هنا هو الكتابة، كما ذكر القرآن الكريم أدوات الكتابة في المجتمع وقد جاء في قوله تعالى: " وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَاباً فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَـذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ "[1]، " وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ"[2]، " وَالطُّورِ (1) وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ (2) فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ (3) "[3]، وهذا ما يدل على معرفة العرب بوسائل

(2)نظرية الكتابة في النقد العربي القديم : د. حبيب موسني ، ص 4 .

(3) العلق: الآية 1 ، 5 .

(4) القلم: الآية 1.

(1)الأنعام:الآية 07 .
(2)لقمان:الآية 27 .
(3) الطور:الآية 1-3 .

الكتابة وتمتد إلى أكثر من ذلك ، حيث تعرف الجلود والقرطاس والوسيلة المستخدمة في الكتابة هو القلم والسائل المستخدم وهو الحبر ، فقد دون الإسلاميون وخاصة الرواة منهم أخبار العرب وأنسابهم وأيامهم وشعرهم .

الكتابة عند العرب في صدر الإسلام:

بدراسة النصوص العربية دراسة دقيقة اتضح أن تدوين الشعر العربي مر بعد ظهور الإسلام بثلاث مراحل:

الأولى: هي مرحلة استمرار الكتابة نحو محدود استمرار لما كانت عليه في الجاهلية وهذه الفترة الأولى من الدعوة الإسلامية والدولة الإسلامية الأولى وحتى الراشدين تقريبا.

الثانية:هي مرحلة جمع الشعر المدون والشعر المتداول شفاهة، وهذه بدأت تقريبا مع العقود الأولى من عصر بني أمية.

الثالثة: هي إعداد مجموعات من الشعر في كتب ألفها اللغويون وهذه المرحلة تدخل في نطاق الثانية ثم تنطلق منها وشارك فيها المؤرخون والمفسرون مثل:الشعبي والزهري ومحمد بن السائب، ولما جاء دور الإسلام ونزل القرآن الذي كان معجزة بيانه وفصاحته الخاصة وأصبح القرآن في الإسلام هو عقيدة العربي المسلم مثلما كانت اللغة بفصاحتها وشعرها هي عقيدة العربي في الإسلام وبدأت المراحل التالية لتكوين التراث، ولذلك ما ورثناه من مدونات ومخطوطات عربية قبل الإسلام له أهميته في تكوين التراث فيما بعد.

ويعتبر عصر رسول الله ρ بداية مخاض التراث العربي الإسلامي ، ونرى في أسلوب تعليمه سنة لمن بعده يتخذونها في تكوين التراث المخطوط [1].

---

(1)الأغاني: أبو الفرج الأصبهاني ، طبعة القاهرة 1927 – 1936 . ج17 ، ص 42 .

وفي العصر العباسي ترسخت الكتابة وازدهرت الخطوط وتنوعت واختص كل إقليم بنوع من الكتابة .

وجدير بالذكر أن الأقلام (الخطوط) في ذلك العصر كانت تسمى بمقاديرها كالثلث والنصف والثلثين كما كانت تنسب إلى الأغراض التي كانت تؤديها كخط التوقيع أو تضاف إلى مخترعها كالرئاسي نسبة إلى مخترعه ولم تعد الخطوط

بعد ذلك تسمى بأسماء المدن إلا في القليل النادر.

وكما جعل المصريون كتاباتهم على ثلاثة أنواع : الهيروغليفية، " الكهنوتي"، و الهيراطيقي " الدواويني" و الديموطيقي " الشعبي" .

كذلك الأمر في خطوط العباسي فكان لكل خط اختصاصات معينة ومن ذلك : قلم الطومار: كان مخصصا لتوقيع الخلفاء والكتابة إلى السلاطين[2].

فكما رأينا أن الكتابة تطورت عند العرب بشكل كبير بعد القرنين الثاني والثالث للهجري ولكن للأسف فقد اندثر كثير من هذه الخطوط وبقي بعضها الآخر مستعملا إلى يومنا هذا.

فليس غريبا أن نجد رسول الله ρ يحث أصحابه على تعلم الكتابة والقراءة كأداة لمعرفة الدين ووسيلة لنشره وتبليغه لقد كان الدين الجديد في حاجة إلى كتاب يدونون آيات الكتاب الكريم ويكتبون الرسائل التي يبعث بها الرسول ρ إلى شتى بقاع الأرض يدعو الناس فيها إلى الدخول في دين الله.

وإلى جانب كتاب الوحي، وكتاب الرسائل كان للرسول كتاب يختصون بكتابة الغنائم، وآخرون يكتبون أموال الصدقات ، ونوع آخر لكتابة شؤون المسلمين ، بل وأوصى الذين كانت ملكة الحفظ ضعيفة بالكتابة عنه وهذا كله يعني أن التدوين والكتابة بدأت تنتشر في خدمة الدعوة الإسلامية ، ويتوسع المسلمون في استخدامها

حتى صار الصحابة الذين لا يكتبون يحسون بالألم من عدم قدرتهم على الكتابة.

---

(2) المرجع نفسه:ص 43 .

وكانت هذه هي المرحلة الثانية لظهور التراث العربي والمرحلة الأولى لظهور التراث العربي الإسلامي ، ودلت على أهمية استخدام الكتابة والتدوين وإن كان رسول الله ρ قد وضع ضوابط محددة لهذا التوسع ، فقد أذن لبعض الصحابة مثل عبد الله بن عمرو بن العاص في كتابة الحديث[1].

إلا أنه نهى عن التوسع في الكتابة للتركيز في كتابة القرآن الكريم وحتى لا يختلط القرآن ببعض الأحاديث والكتابات الفقهية، وهذا يتضح من قوله " لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه. وحدثوا عني فلا حرج ، ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار" والأمر بقيد العلم دليل على إباحته وخاصة لمن خشي على نفسه دخول الوهم في حفظه ودقته وفي هذا تنفيذا لقوله تعالى : "وَلاَ تَسْأَمُوْاْ أَن تَكْتُبُوْهُ صَغِيراً أَو كَبِيراً إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلاَّ تَرْتَابُواْ (282) "[2].

وإذا كان الكثير من المؤلفين يعتبرون أن بداية التدوين والكتابة و تدوين التراث من أيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، حيث تم جمع القرآن ، وأيام عثمان بن عفان رضي الله عنه فنحن أمام بعض النصوص التي توضح أنه في عصر الرسول كانت هناك محاولات لجمعه ، وقد قام بها سعيد بن عبيد القارئ[3]، وتطورت مراحل الكتابة وتكوين التراث العربي الإسلامي في عهد الراشدين ، وأبرز عمل ظهر في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه هو جمع القرآن الكريم ، واشترك في جمعه ستة من الصحابة .

واستمر تكوين التراث العربي الإسلامي في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فهو من أنصار نشر العلم بين المسلمين ، واعتبره واجبا على كل مسلم ، ويقول في ذلك " من علم فليعلم ومن لا يعلم فليسأل العلماء " وهذا يعني انتشار مجموعة جديدة تفرغوا للعلم وأطلق عليهم العلماء في هذا العصر المبكر من الإسلام ، بل أنه أول من أرسل إلى البدو من يعلمهم ، ولم يتركهم عزلا عن

---

(1)تقديم العلم : الخطيب البغدادي " أبو بكر أحمد " ، تح : يوسف العش ، دمشق ، المعهد الفرنسي للدراسات العربية ، 1949 ، ص 68 ، 77 ، 84 .

(2) البقرة: الآية 282.

(3)المخبر : محمد بن حبيب أبو جعفر ، حيدر أبار ، 1942 ، ص 286 .

العلم ولم يكن هذا إلا نوعا من التسجيل للتراث الإسلامي ، مما يؤكد ذلك أن المدونة الثانية التي كان يبحث عنها عمر بن عبد العزيز في المدينة هي كتاب " كتاب الصدقات " لعمر بن الخطاب[1] ومن أبرز ما أدركه عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

ومن أبرز ما أدركه عمر بن الخطاب تدوين الأنساب وكذلك حال أيام الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه والذي كان من أهم وأبرز أعماله على الإطلاق جمع القرآن الكريم ونسخه على صورة واحدة بعد أن كلف كبار الصحابة بذلك ، وكان أبرزهم زيد بن ثابت فاستعانوا بالكتاب الذي جمع أيام أبي بكر رضي الله عنه، وكانت تحتفظ به حفصة رضي الله عنها .

وما يمكن أن يقال عن الخلفاء الثلاثة ينطبق على فترة خلافة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، بل إن الأحداث التي شهدها عهده دفعت الكثير من الصحابة إلى الاعتزال والتفرغ للعلم ، وكان علي بن أبي طالب مساهما بدور كبير في تكوين التراث الإسلامي ، سواء قبل الخلافة أو بعدها ن فقد ذكر ابن الحنفية ـ علي ابن أبي طالب ـ أن أباه أعطاه يوما صحيفة ليذهب بها إلى عثمان بن عفان وأن هذه الصحيفة تضم ما أوصى به الرسول ρ حول الصدقة [1].

و لم يقتصر التدوين على الفقه والحديث فحسب، بل امتد إلى وثائق عصر النبوة، هذا فضلا عن الرسائل التي أرسلها الرسول ρ للملوك والحكام يدعوهم فيها إلى الإسلام.

وقد شهد عصر الراشدين مرحلة متقدمة في كتابة التاريخ أيضا بدءا بكتابة حياة الرسول ρ وشمائله و مغازيه وجهاده في الدعوة الإسلامية .

---

(1)التراث العربي الإسلامي : فؤاد شركين ، نقله من الألمانية محمود فهمي حجازي ، جامعة الإمام بن سعود الإسلامية ، 1962 ، مجلد 1 ، ج3 ، ص 4 – 5 .

(1)التراث العربي الإسلامي: د. حسين محمد سليمان، ص 236، 238.

مما سبق يتضح لنا أن التراث العربي الإسلامي تكونت مرحلته الأولى بشكل كبير في فترة النبوة وعصر الراشدين، ولم ينته العصر الأخير إلا وكان إنتاجا طيبا متنوعا ومتخصصا في العلوم الإسلامية من تفسير وحديث وفقه و تاريخ... حيث صار التراث العربي الإسلامي شامخا كبيرا و متنوعا.

وبعد ذلك انطلقت فيما بعد عملية التدوين والإنتاج في العلوم الإسلامية واللغوية وغيرها في القرن الأول ، ولم تكن ظاهرة بوضوح ، إلا أنها كانت لها جذور لما ظهر في نهاية القرن الأول الهجري ثم جذور لانطلاقة القرن الثاني الهجري حيث بدأت أسماء العلماء تظهر ويظهر معهم مؤلفاتهم ومدوناتهم ومصنفاتهم على يدهم أحيانا وعلى تلاميذهم أحيانا أخرى.

على أن الانطلاقة الكبرى في تدوين المعلومات الإسلامية و تكوين التراث العربي الإسلامي بصورة أكبر خاصة في الفقه و الحديث، إنما يرجع الفضل فيها إلى أواخر القرن الأول و بداية القرن الثاني الهجري، و هي فترة حكم الخليفة عمر ابن عبد العزيز، الذي سمح بكتابة كتب الخراج عن كتب فقهية.

و مما ساعد على هذه الانطلاقة الفتوحات الإسلامية لبلاد كثيرة في الشرق و الغرب، هذه البلاد كانت لها وسائل من المواد الكتابية- التي يكتب و يسجل عليها، فمصر كان بها البردي، و كذا منذ عهد عبد الملك بن مروان سنة 65 للهجرة، كانت هناك دواوين و كتب الشام في قراطيس، و استعمل المسلمون الرقوق، ثم اخترع الورق زمن هارون الرشيد.

و يؤكد ابن خلدون استعمال الجلود و الرقوق في أول عهود الإسلام في الرسائل السلطانية و في المؤلفات العلمية كما استعملوا في بداية القرن الثاني الهجري أيضا الورق الصيني.[1]

(1) المقدمة : عبد الرحمان بن محمد بن خلدون ، تح : علي عبد الواحد وافي ، القاهرة ، 1960 ، ص 383 .

و في هذه الفترة- إن لم تكن الفترة السابقة- بدأت أبسط الدراسات اللغوية المتعلقة بالقرآن الكريم فور تدوين المصحف العثماني.

و من الدراسات القرآنية التي ظهرت في هذه الفترة تفسير القرآن الكريم و ظهرت أيضا دراسات جمع الحديث.

وتمضي حركة التأليف في نشاط منطلق في هذا القرن، و يتطور العلم. و بدأ بعض المؤلفين يؤلفون مئات الكتب في سائر أنواع العلم، و بدأت الدراسة العلمية في علومها تتقدم بسرعة مذهلة لم تكن متوقعة. أي أن القرن الثاني من بدايته إلى نهايته شهد غزارة و تنوعا في الكتابة التاريخية، فضلا عن الاتجاه الجديد الذي ظهر في الكتابة العلمية في كتب التراث وهو التفسير والتحليل و التعليل بالإضافة إلى أمر هام وهو قيام عملية الترجمة من اللغات الأخرى إلى اللغة العربية و قد كان رائد الترجمة: خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي و قام بترجمة أعمال يونانية و مصرية و سريانية و فارسية إلى العربية.

و بدأ في نهاية القرن ظهور ما يمكن أن نقول علية تجاوز الموسوعات، فكانت كتب محمد بن عمر الواقدي (ت207 هـ) على سبيل المثال من الموسوعات التاريخية.

ثم انطلق التراث العربي الإسلامي في غزارة الإنتاج في سائر أمصار العالم الإسلامي اعتبارا من القرن الثالث الهجري و كان للأندلس و مصر وبلاد المشرق دور كبير في ذلك حتى أنهم أصبحوا إشعاعات في إنتاج التراث العربي الإسلامي بصورة أكثر تخصصا، و ظهرت مؤلفات و مصنفات في جزئيات من فروع العلم الكبير كان لها الفضل في التقدم الإنساني حتى الآن. بل إنهم اهتموا بما يعرف بكتب معاجم الكتب المؤلفة في كل علم.

و لم ينته العصر الأموي إلا وقد مالت النفوس إلى التعليم الذي ساد فيما بعد الدولة الإسلامية و أصبح مهنة و صناعة لها أصولها وآدابها، و ظهرت المعاهد التعليمية المختلفة.[1]

و من المعلوم أن العصر العباسي هو العصر الذهبي للأمة الإسلامية إذ ازدهرت فيه الحياة الفكرية ورقت رقيا لا مثيل له من ذي قبل وذلك بسبب تطلع العرب على ثقافات الأمم الأخرى من فرس وروم وهنود وغيرهم فنشطت عمليات التأليف والترجمة واحتراف الكتابة ؛ هذا كله أدى إلى ظهور مجموعة من النقاد عملت على إصلاح فئة الكتاب وتوجيههم نحو السداد ومن هؤلاء نجد ابن قتيبة من خلال مؤلفه الشهير " أدب الكاتب "الذي سجل من خلاله جملة من الملاحظات تناولت الأخطاء الشائعة في عهده على سبيل الاستعمال الشاذ قولا وكتابة الخارج عن سنة العربية ولهذا الغرض ألفيناه يعمل على خلق معرفة تجنب اللحن تعيد للعربية سننها الأولى معللا ذلك بما جرى على ألسنة الفقهاء النحاة والبلاغيين وعلماء الأصول وغيرهم ممن يعدون من أئمة اللغة العربية ترضى حكومتهم في هذا الباب كما أنه سن العديد من الأخلاقيات التي يجب أن تتوفر في الكاتب كأن يكون بالنحو والصرف والحساب والفقه والتاريخ يضاف إلى ذلك كله اتصافه بالأخلاق الحميدة من صدق ومروءة ومجانبة للفحش وغير ذلك .

وإلى جانب ابن قتيبة نجد العديد من الأفذاذ الذين تقاسموا هذه المشقة وألفوا وأبدعوا فيها فمن باب التمثيل لهؤلاء نجد بشر بن المعتز الذي ركز على قضيتي (الوضوح والتبليغ) إذ جعل الشرط الأول متوقفا على حق داخلي تترتب عنه مسؤولية المؤلف من الناحية الجمالية الصرفة أما الشرط الثاني فيقوم على حق آخر خارجي تترتب عليه مسؤولية أخرى هي حق التلقي وما ينتظره من فعل القراءة والسماع [1].

(1)التراث العربي الإسلامي: د.حسين محمد سليمان، ص 250 – 268.
[1] المرجع نفسه : ص 268 .

رابعا: بين الكتابة و المشافهة:

يعد مصطلح "كتابة" إلى جانب مصطلح القراءة من المصطلحات الجديدة في الحقل التفكيكي و ترتبط معها ارتباطا جدليا من حيث إن الكتابة لا تكون بفضل القراءة فهذه سابقة عليها و رائدة لها، و متقدمة عليها. ذلك أن الإنسان ليس بوسعه الكتابة إلا إذا كان قد مر بفعل القراءة. فكأن القراءة أم الكتابة و الثانية بنت بارة لها.

و على هذا النحو طعم رولان بارت اللغة الفرنسية بكلمة (Ecrivance) بمعنى "الكتابة العمومية" تفترق عن الكتابة الأدبية (Ecriture) و هو المصطلح الذي لا يعني ما صار بعينه في كتابات بارت الناضجة، فهو يستعمله في "الكتابة في درجة الصفر" ليعني ما يعنيه الآخرون بكلمة الأسلوب.

و لقد ميز بارت في مقاله الموسوم (Ecrivais et Ecrivants) نشرها عام 1960 بين هذين النوعين من الكتاب، تميزا نوعيا حاسما، و النوع الأول هو الأدنى، هو الكاتب (Ecrivant) و اللغة عنده وسيلة لغاية غير لغوية، لأنه كاتب متعد يحتاج إلى مفعول مباشر، هو يقصد أن ينتقل كل ما يكتبه معنى واحد فقط، وهو المعنى الذي يريد هو نفسه أن ينقله للقارئ، أما المؤلف(Ecrivain) فهو الأعلى شخصه أكثر مهابة كهنوتي حيث آخر كبتي Elerical والكلمة الأخيرة تدل على مهنة الكتابة التي يضطلع بها الكتاب في دوائر الدولة مثلا وعلى المهمة التي يتولاها رجال الأكليروس في الكنائس ثم إن (Clergyman : Clerk) يقصد بها المحافظ على الصلة بالكتب والتقليل من شأن الكاتب في مقابل المؤلف بحس التحديد المعاجمي[1].

أما في التراث القديم فإن الكتبي هو النساخ للكتب وربما واضعها ومن خلال تمييزه بين المؤلف والكتاب ، اعتبر ارث أن الكاتب الحقيقي خليط من الـ: Ecrivain والـ : Ecrivant وهو الكاهن أحيانا والكاتب clerk أحيانا أخرى . ينقل معنى معدا سلفا أحيانا ويلعب باللغة.

وحين البحث عن دلالة المصطلح الأخير (Grammatologie) مصدره بكلمة (gramma) الإغريقية الأصل ثم حولها الفرنسيون إلى (gramme)وهي لاحقة تدخل ضمن بنية كلمات مثل Télégramme أي برقية

(1)البنيوية وما بعدها, مجموعة من المؤلفين, تحرير: جون ستروك, ترجمة: محمد عصفور,المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب, الكويت, جانفي 1978,ص 93.

و (Giyprogramme) أي كتابة مرمزة(مشفرة) لتتحول الكلمة في القواميس الفرنسية فتفي الكتابة un écrit [1].

أما جاك دريدا فقد أشار إلى المصطلح (Grammatologie)في حديثه عن الكتابة ليعني به: دراسة الحروف والأبجدية والتقطيع اللفظي والقراءة والكتابة، ثم أشار إلى أن اللفظ لم يستعمل إلا من قبل (J.Gelb)في كتابة writing

عام 1952Astudy of the foundations of Grammatology [2]

وفي ترجمة المصطلح إلى اللغة العربية، يلاحظ أن محمد برادة حين ترجمته كتابا لبارت وحين الوقوع على كلمة (Ecrivants)قابله بلفظ (كتبة) والكلمة جمع تكسير شائع لإسم الكاتب والكتاب [3] وترجم ابن عبد العالي مصطلح: Ecrivance بكتابة[4] على حين سعيد علوش كلمة écritant بالمكتب وكدأبه في الخروج عن الدأب التقليدي ابتدع عبد الملك مرتاض مصطلحات مثل: الكتابة العمومية Ecrivance والكتابة الأدبية Ecrture والكتبة Ecrivance والكتاب écrivant ومنها صيغة مكتوب على وزن شعرور[5]

أما عبد الله الغذامي فنقل مصطلح Grammatologie بصورة النحوية ونقله سعيد علوش بصورة النحو – لوجيا واختار الباحث سليمان عشراتي اللفظة بصيغة: غراماتولوجيا محافظا على صيغة المصطلح المعربة[1].

---

[1](Larousse Universel, 2, nouveau dictionnaire,Claude Auge, encyclopèdie libraire, Larousse, Paris op. cit mot (ècrit).(Signe) P946.

[2] La grammatologie : Jacques Derrida, les editions de Minuit, Paris, 6e, 1967 o 13.

[3] ينظر : المعجم الوسيط : أنيس إبراهيم وآخرون، ط 2، دار الأمواج، بيروت، 1990، ص 774.

[4] درس السيميولوجيا :رولان بارت،.تح. عبد السلام ابن عبد العالي ،.دار توبوقال ، ط2، 1986 ،ص 49- 50.

[5] بنية الخطاب الشعري : دراسة تشريحية لقصيدة أشجان يمنية ، عبد الملك مرتاض ، ديوان م ج ، الجزائر ، 1991،ص 15.

(1)ينظر: معجم المصطلحات الأدبية المعاصر, سعيد علوش ,منشورات المكتبة الجامعية، الدار البيضاء، 1984 ص 120.

بالعودة إلى الجهود دو سوسير نجده:" يذهب فعلا إلى التمييز بين نظامين متباينين من أنظمة الدلائل وهما اللغة والكتابة"[2]، ومن خلال قضية الدليل نجده يقصي الكتابة ويحط قدرها، ويقيم صرحا دلائليا للغة المنطوقة على حساب المكتوبة. إذ حط من مكانتها وجعلها في مرتبة ثانوية أمام الكلام، ويتجلى ذلك في معالجة دو سوسير لموضوع الكتابة التي يعطيها مكانة ثانوية بالمقارنة مع الكلام، ويجعلها تستمد هذه المكانة من غيرها. فهدف التحليل اللغوي عنده ليس الأشكال المكتوبة بل الأشكال المنطوقة فقط، أما الكتابة ما هي إلا وسيلة لتمثيل الكلام، وسيلة تقنية واسطة خارجية ولذا فلا حاجة لأخذها بعين الاعتبار عند دراسة اللغة[3]، "وبهذا نجد دو سوسير يحجر الكتابة ويجعلها تابعة للكلام وقمع الكتابة في المنهج الذي اقترحه دو سوسير، ويتجلى ذلك في رفضه النظر أو دراسة أي شكل من أشكال التدوين اللغوي خارج الكتابة الأبجدية الصوتية للثقافة الغربية"[4].

ومن خلال هذا الطرح يتضح لنا أن دو سوسير في تأصيله للدرس الألسني يستبعد كل الاستبعاد الجانب المكتوب من اللغة ويحط من قدره، وحينها ما كان لصرح الألسنية أن يعلو ويرتفع لولا تأسيس دو سوسير درسه اللساني على النطق "إن الغرض الألسني لا يتحدد بتنسيق الترابط بين الكلمة المكتوبة والأخرى المنطوقة وهذه الأخيرة تشكل وحدها هذا الغرض"[1].

و من خلال ما سبق ذكره يمكن طرح مجموعة من الأسئلة التي تتدافع بقوة مستفسرة عن سبب استبعاد الكتابة ؟ وما دور الكتابة إذا كانت لا تساوي شيئا أمام الكلام ؟ وما هي دوافع دو سوسير إلى إقصاء الكتابة ؟

---

(2) المركزية الغربية: عبد الله إبراهيم،المركز العربي الثقافي، الدار البيضاء، بيروت، ط 1، 1997، ص 331.

(3) ينظر:المرجع نفسه، ص 332.

(4)ينظر:التفكيكية: النظرية والممارسة، كريستوفر نوريس، ترجمة صبري محمد حسن، دار المريخ، السعودية، دت، دط، ص 86 .

(1) ينظر:محاضرات في الألسنية العامة: دو سوسير، تر : يوسف غازي ومجيد النصر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، د ط ، 1986 ، ص 39 .

من الملاحظ أن الميتافيزيقا الغربية تمنح الكلام أفضلية على الكتابة التي تعطي امتيازا خاصا للكلمة المنطوقة لأنها تجسد حضور المتكلم وقت صدور القول.

" وبذلك منح الفلاسفة منذ أفلاطون و دو سوسير و روسو و ليفي شتراوس أولوية للكلام على حساب الكتابة وأقاموا له صروحا من الدلائلية القوية وجعلوا الكتابة مادة غريبة عن الكلام وقاتلة للدلالة"[2] .

يميز إدوارد سعيد بين الخطاب المحكي (المشافهة) والنص المكتوب (الكتابة) فالخطاب المحكي والواقع الظرفي يوجدان في حالة حضور ، أما النص وكل ما هو مكتوب فيوجدان في حالة تعليق ، أي خارج الواقع الظرفي إلى أن تعاد له الواقعية ويصير حاضرا بواسطة القارئ ، الناقد .

فالنص عالمي الوجود لأنه يملك أشكال وجود ، فلا يفلت من شباك الظروف والزمان والمكان والمجتمع ، سواء أكان موضوعا على رف مكتبة أم لا، معتبرا خطرا أم لا فإن كل هذه الأمور تمس وجود النص في العالم وكذلك فإن كل نص أدبي يرتبط بشكل من الأشكال بظرفه بالوقائع التجريبية التي أنتجته[1] .

كما يرى إدوارد سعيد أن النص يرتبط بظرفيته وعالميته وأن المؤلفين عند إنتاجهم النصوص ذات الادعاء بالعالمية أو ذات الرغبة الخفية لامتلاك هذه العالمية، يرفعون من قيمة الخطاب ويجعلون منه رباطا يشد النص الصامت إلى عالم الخطاب، فيتم التبادل الخطابي ظرفيا بين المتحدث والمستمع.[2]

---

(2)ينظر: جاك دريدا، ماذا الآن؟ بماذا عن غد، الحدث ، التفكيك ، الخطاب ، إشراف : محمد شوقي الزين ، منشورات الاختلاف الجزائر ، دار الفارابي ، بيروت ط 1 ، 2011 ، ص 20.

(1)مجلة العرب والفكر العالمي: العدد رقم 6، ربيع 1989، ص 133.

(2)النقد الأدبي ومدارسه عند العرب: أستاذ دكتور. قصي الحسين ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت دار الشروق ، جدة 2008 ، ص 267 ، 268 .

إن الكتابة تقف من ناحية أخرى في مقابل القراءة، قيام تشاكل و تقابل في آن واحد.أما التشاكل فلأن الكتابة في حقيقة أمرها نتاج قراءة قبلية شاءت لنفسها أن تتجسد في الحرف و أن تجعل حصادها في الخط. و الكتابة من هذه الوجهة تقييد للقراءة جمعت حصيلتها في المكتوب. إذا تأملنا هذه العلاقة بدت الكتابة و هي تتوسط قراءتين: قراءة قبلية تحدث على مستوى الخواطر و الفكر، تتفحص الحياة وأحوال الناس و معارفهم. و قراءة بعدية موكل إليها فك الحرف و استخراج مكنونه، اعتمادا على ما يرسب في النفس من إيحاءات المكتوب من جهة، و على ما يعمر النفس من معارف و أحوال من جهة ثانية.و شتان ما بين القراءتين من فروق. إذ الأولى تدبر و تفكر، و استخراج للمعاني من معادنها الأولى، و بحث لما يوافقها من ألفاظ تنم عنها. أما الثانية فتابعة تالية تنتظر من الخط البوح بسره أولا، ثم تضفي عليها من مكنوناتها الزيادة التي يقتضيها النص، و التي يحملها أصالة دون الإفصاح عنها.

أما التقابل بين الكتابة و القراءة، فمردود إلى آليات كل واحدة منها إذ تحتاج كل واحدة إلى نمط خاص من الجهد و الاجتهاد، و إلى هيئة خاصة من التلقي و التقبل. ولا يمكن صرف آليات هذه إلى تلك. و إنما اختصاص كل واحدة منها بالذي يوافقها، و يسمح بامتدادها في مجالها الخاص عطاء و طواعية.[1]

و إذا أخذنا في حسابنا طبيعة العصر، و الذائقة المتحولة، و المقاصد المتوخاة وراء الفعل الكتابي، تشكنا في المنتهى الذي سوف تقف عنده الكتابة. بل تحتم علينا طبيعتها المنفتحة الإقرار بوجوب ترك باب الاجتهاد مفتوحا على مصراعيه، تتجدد من خلاله قواعدها و شروطها. خاصة و أن عصر الحاسوب والصورة و الصوت يتهدد النمط القديم، و يقدم بين يديه أشكالا جديدة للفعل التواصلي السريع. بيد أن جوهر الكتابة يظل قائما، حتى و إن أخذت الصورة المتحركة الناطقة حيزا خطيرة في حياة الناس. إذ وراء كل صورة و صوت كتابة من نوع خاص.

و قد لا يطرح هذا التصور مصير الكتابة و القراءة في مستقبل الأيام، ولا شكل الكتابة و كيفية القراءة! و لكن فعل الكتابة سيظل في جوهره قائما على عين الشروط التي أسسته من ذي قبل، حتى و إن حملت اقتضاءات التقدم شيئا من التحوير والتلوين. لأننا مازلنا نشهد طغيان المكتوب في الكتب، و المجالات، والصحف. ومازلنا نشهد حاجة الصوت إلى الرسم و الخط.[2]

(1) نظرية الكتابة في النقد العربي القديم: د: حبيب مونسي، ص 4،5.

(2) المرجع نفسه، ص 6.

وفي محاورة " فايد روس" يعرض أفلاطون وجهة نظره في الكتابة بوصفها وسيلة للتعبير عن الأفكار ويمكن استخلاص النقاط الآتية:

الكتابة	المشافهة (الكلام)

1- آفة الذاكرة	1- حي منشط للذاكرة.
2- غريبة عن النفس لأنها تفد إليها من خارجها.	2- نسيب للنفس لأنه يستوطنها.
3- الفنون الكتابية ساذجة لا قيمة لها ولا يحتد بها.	3- تمجد الفنون الكلامية ومثالها الملاحم الشفاهية .
4- التعلم الكتابي لا جدوى منه كون رسائله غريبة.	4- التعلم الشفاهي هو المفضل .
5- كائن ميت لا قدرة له على الجواب .	5- كائن حي له قدرة التفاعل مع الآخرين
6- قاصرة على الإفصاح عما تكنه.	6- بارع في الإفصاح.
7- تكرر مضامينها دونما مراعاة لشروط الإرسال والتلقي .	7- يجدد مضامينه تبعا للمقام الذي يقال فيه
8- توصل مضامينها إلى من يفهمونها ومن لا يفهمونها على حد السواء دون مراعاة للفوارق بين هذا وذاك.	8- يساق لمن يفهمه ويظن به على من لا يدرك مراميه.
9- كائن أعمى فهي لا تعرف لمن توجه محمولها .	9- يتحدد موضوعه بحضور مباشر لمتلقيه .
10 - قاصرة أبدا لأنها تحتاج إلى مؤلفها ليدافع عنها ويدرأ عنها .	10 - قوته بذاته .
11- وسيلة عقيمة لا حجج لها ولا براهين بين أيديها.	11- قادر على تأييد نفسه بحجج يستمدها من السياقات

12 ـ صيغة ميتة لا روح فيها.	المستمدة في أثناء المحادثة . 12ـ حياته متأتية من كونه ساكن النفس فهو جزء منه. وحياته من حياتها وهو يتجدد كالبذور وهدفه تحقيق السعادة لتلك النفس.

الفصل الثانـي

نظرة التفكيكين للكتابة

1- المدرسة التفكيكية.

2- التفكيك ، مبادئه و أعلامه.

3- نظرة العرب للتفكيك.

4- نقد التفكيكية.

أولا: المدرسة التفكيكية:

I -الجذور الفلسفية للتفكيك:

"ليس التفكيك منهجا"[1]، كما أنه ليس نظرية عن الأدب ولكنه استراتيجية في القراءة: قراءة الخطابات الفلسفية والأدبية والنقدية من خلال التموضع داخل الخطابات، وتقويضها من داخلها، من خلال توجيه الأسئلة وطرحها عليها من الداخل، وإذا ما علمنا أنه ما من نظرية نقدية إلا وبنيت على خلفية فلسفية وفكرية، فالنقد المضموني، مثلا بني على الفلسفة الماركسية والنقد الشكلي استند إلى الوضعية المنطقية، فإن من حقنا أن نتساءل عن الجذور الفلسفية التي بنيت عليها استراتيجية التفكيك، على الرغم من اعتراف منظر التفكيك الأول جاك دريداJaques Derridaبأن التفكيك ليس منهجا.[2] لقد تأسست استراتيجية التفكيك على رفض الميتافيزيقيا الغربية التي هي في نظر دريدا أيديولوجيا المجموعة العرقية الغربية، قصد تقويض التصور الذهني الذي أرسته الفلسفة الغربية، والقائم على تكريس المقابلات الثنائية، مثل (الكلام / الكتابة، الحضور/ الغياب، الواقع / الحلم، الخير/ الشر وغيرها) ومن ثم اجتراح مفاهيم ثورية جديدة مثل: (الاختلاف Defferencé، الذي يعني المغايرة والتأجيل ونقض التمركز حول العقل Logocentrism).

وقد استخدم دريدا بعض الاستراتيجيات الهيقلية ليهدم بشكل أفضل نظام الفيلسوف الألماني الماورائي، وتقويض التصور الذهني الذي أرسته الفلسفة الغربية والتي ظل الغرب خاضعا لها ردحا من الزمن على أنها حقيقة مطلقة بدءا من أرسطو ومرورا بديكارت و كانط و هيجل، وانتهاء بماركس و نيتشه و فرويد

(1)ينظر: الكتابة والاختلاف : جاك دريدا ، تر : كاظم جهاد ، تقديم محمد علال سي ناصر دار توبقال للنشر ،المغرب، ط 2 ، 2000 ، ص 61

(2) دليل النظرية النقدية المعاصرة : د. بسام قطوس، مكتبة دار العروبة للنشر ، الكويت ، ط 1 ، 2004 ، ص 143 .

ولقد كان موقف دريدا حيال مفكرين مهمين مثل: جورج ويلهم و فريدريش هيجل أو مارنت هايدغر موقفا جامعا للنقيضين للغاية، بمقدار ما يرتبط الفيلسوف الفرنسي مجددا مع بعض إيضاحات هذين المؤلفين بهدف هدم أسس نظاميهما. إن تطوير لما يسميه " استراتيجية عامة ونظرية ومنهجية للتفكيكية الفلسفية " عبر استخدام بعض المفاهيم والحجج المثالية من أجل كشف طابعها المتناقض الشكاك .

ويرفض دريدا أيضا إخضاع الفن للوغو مركزية إما : تحليل نفسية، أو ماركسية أو بنيوية ويقف ضد طروحات هيجل والعقلانيين .

أما كون التفكيك ليس منهجا وهو ما نادى به دريدا فهدفه منع احتواء التفكيك أو تدجينه، وبخاصة إذا أدركنا تأكيد مفردة التفكيك على الدلالة الإجرائية أو التقنية وهي محاولة لإنشاء استراتيجية عامة تتفادى المقابلات التي ميزت الفكر العربي، بدءا من أفلاطون ووصولا إلى دي سوسير لتقيم في الأفق المغلق لهذه المقابلات استراتيجية بديلة للقراءة والكتابة أو في مقاربة النصوص .

وهي من هذه الزاوية ليست حيادية، وإنما هي ثورية، تحاول قلب التضاد الكلاسيكي وإزاحة النظام. [1]

II-الظهور و التطور:

تعد التفكيكية من أهم مداخل نظريات النقد المعاصر حيث ظهرت كتيار نقدي جديد، عرف بما بعد الحداثة اكتسح الساحة الفكرية والنقدية الأدبية معا فأحدث ثورة على مستوى القيم الأدبية التي كانت سائدة آنذاك وأقامت صرحا جديدا للوقوف على الدعائم الراسخة في الفكر الإنساني لتخلخل نسقيتها ومن ثمة تفكك ما هو موجود وقار كمركز لا يجوز بأي حال خلخلته أو مس بنيته التحتية باعتباره مقدسا اكتسب قدسيته بأقدميته .

(1)دليل النظرية النقدية المعاصرة : د. بسام قطوس،ص 144-147 .

أما عن جذور التفكيكية في النقد المعاصر فتمتد إلى الندوة التي نظمتها جامعة جون هوبكنز Johns Hopkins حول موضوع اللغات النقدية وعلوم الإنسان " في أكتوبر " من العام 1966، حيث كان هذا التاريخ أول إعلان لميلاد التفكيكية، وهو العام الذي ألقى فيه الفيلسوف الفرنسي جاك دريدا ورقته المعنونة " بالبنية والعلامة واللعب في خطاب العلوم الإنسانية " ثم ضمنها بعد ذلك كتابه " الكتابة والاختلاف " وقد تميزت هذه الورقة بقطيعة معرفية واضحة مع الافتراضات النظرية التي تنطوي عليها النزعة البنيوية، فذاعت على الفور بوصفها إيذانا بظهور حقبة " ما بعد البنيوية "[1] ـ وقد اشترك في تلك الندوة مجموعة من النقاد والباحثين مثل : رولان بارت و تودوروف و لوسيان جولدمان و ج. لاكان وجاك دريدا الذي شارك كما ذكرنا بمداخلة أرسى فيها أسس التفكيكية .

ويبدو من الأسماء المشاركة في الندوة أنها أوروبية، بل تكاد تكون فرنسية، ومن ثم بدأت التفكيكية، في أول أمرها، صدمة أولى في الولايات المتحدة الأمريكية لدى الكثيرين، باستثناء الناقدين الأمريكيين، بول دي مان p.de man ، الذي أسهم في الاتجاهين: البنيوي وما بعد البنيوي (التفكيكي)،و ج هيليس ميلر Hillis Miller الذي قرأ نصوصا لكثير من الشعراء والروائيين وفق منهج نقدي توخى فيه الكشف في مركز كل نص عن " تناقض نهائي ".

وفي بداية السبعينات بدأت التفكيكية تتغلغل في البيئات النقدية الأدبية، بعد أن طار اسم دريدا في جامعتي: ييلYale، وجون هوبنكز John Hopkins ، وبنشره كتابيه : "الكتابة والاختلاف " 1968 La defferance وترجم إلى الإنجليزية بعنوان Writingdefference " وعلم الكتابة " أو " عن علم الكتابة " De le grammatologie وترجم إلى الإنجليزية بعنوان : of grammatologie

(1) البنيوية والتفكيك : مداخل نقدية مجموعة من الكتاب ، تر : حسام نايل ، أزمنة للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ط 1 ، 2007، ص 177 .

بدأ يبرز كمنظر حقيقي للتفكيك وربما لم يحظ النقد التفكيكي في أوروبا بنفس الحظوة التي لقيها عند جماعة ييل، وإن يكن رولان بارت من أكثر النقاد استيعابا للفرضيات التفكيكية .

ومن النقاد اللامعين الذين أسهموا في استراتيجية التفكيك الناقد الفرنسي رولان بارت R.Barthes ولا يمكن تحديد بارت في إطار واحد، فعدا كونه المحامي الصلب عن البنيوية السميولوجية وعن علم الرواية وعن النقد النفسي، فهو يمتلك شخصية عبقرية وفوضوية وحيوية لم تحده القيود الأكاديمية، حتى إنه ليصعب في كثير من الأحيان نسبته إلى منهج واحد، بل ربما بدا مساهما في كثير من التيارات النقدية المعاصرة وقد كان إسهام بارت في التفكيك سابقا على مولد الحركة نفسها التي تنسب بحق إلى دريدا الذي طرح مفاهيمها وقام بتأصيل استراتيجياتها، فبارت وعلى مدى ربع قرن من الزمن أسهم في الفكر البنيوي وفي التنظير النقدي لحقول عديدة، كما أسهم في تطوير مفهوم " الكتابة " تنظيرا وتطبيقا

ولعل الصلة بين رولان بارت ودريدا واشتراك بارت مع مجموعة تيل كيل

Tel Quel والفضاء النظري أو البيئة النظرية التي جمعتها، كل هذه مؤشرات على التبادل الواضح في الأفكار بين بارت و دريدا ليس في مفهوم التفكيك وحده، وإنما في كثير من الطروحات النقدية على الساحة الأوروبية وثمة ناقد آخر لابد من الإشارة إليه ونحن نتحدث عن الجذور التاريخية للتفكيكية، ذلك هو الناقد الأمريكي بول دي مان الذي أصل نظرية في القراءة التفكيكية في كتابيه (العمى والبصيرة، و أليغورات القراءة) وقد أبرز دور دي مان ونقده التفكيكي جوناثان كلرن في كتاب: في التفكيكية 1972، أما مجموعة نقاد ييل Yale الذين ظهروا في أمريكا الشمالية فقد اهتموا، على اختلاف تكويناتهم الفكرية واتجاهاتهم الثقافية، في الثمانينات، بعدد من القضايا النقدية منها: نظرية القراءة والتفكيك وقد نشرت معظم آراء هؤلاء النقاد التفكيكيين في كتب مهمة بالإنجليزية، ولعل من أبرز النقاد

التفكيكيين الأمريكيين الذين أثروا الحركة التفكيكية تنظيرا وتطبيقا: بول دي مان و هارولد بلوم و جيفري هارتمان و هيليس ميللر[1] .

وعلى كل فإننا مثلما لا ننكر دور كثير من النقاد ممن أتينا على ذكرهم في الإسهام باستراتيجية التفكيك، كذلك لا نستطيع أن نتغاضى عن القول إن جاك دريدا هو المنظر الحقيقي الذي أرسى استراتيجية التفكيك ـ في ثلاثة كتب أصدرها عام 1967... سواء أو بمقولاته و مفهوماته.

ثانيا: التفكيك(مبادئه، أعلامه و هدفه):

توطئة : " التفكيكية " مصطلح ينتمي لعائلة من المصطلحات المتداولة في الدراسات النقدية المعاصرة، وهو مصطلح مثير للجدل بسبب ما يتضمنه معناه ـ كما سيرد ـ من مفاهيم معادية للغيبيات (الميتافيزيقيا). وهي إحدى مدارس الفلسفة والنقد الأدبي التي تنحو إلى القول باستحالة الوصول إلى فهم متكامل أو على الأقل متماسك للنص أيا كان، فعملية القراءة والتفسير الأدبي هي عملية اصطناعية محضة يقوم بها القارئ الذي يقوم بالتفسير .

I- 1- مفهوم التفكيكية:

تدل كلمة تفكيكية معجميا على الهدم والتقويض والتخريب والتفكيك والتشريح، وقد استعيرت الكلمة من حقل استخدامها الأصلي (العمارة) إلى ميدان الفكر ، لتصبح مصطلحا يدل على وضع غالبية التقاليد الميتافيزيقية والفلسفية الغربية موضع التساؤل والنقد الجذري .

و التفكيكية هي المقابل الغربي لكلمة déconstruction ذات الدلالة الفلسفية النقدية المعتاصة إلى درجة أن رائدها جاك دريدا يقدم لنا الفعل التفكيكي

(1)دليل النظرية المعاصرة : د . بسام قطوس، ص 149 ، 152.

بهذه اللغة " اللاإرادية " على أنه ليس تحليلا analyse ولا نقداcritique [1] ليس التفكيك منهجا ولا يمكن تحويله إلى منهج خصوصا إذا ما أكدنا على الدلالة الإجرائية أو التقنية ثم يتساءل: ما الذي لا يكون التفكيك ؟ كل شيء. ما التفكيك؟ لا شيء. [2]

كما أنه ليس نظرية في الأدب، كما يرى خوسيه ماريا إيفانكوس أن التفكيكية ليست نظرية عن اللغة الأدبية إنما هي طريقة لقراءة (أو إعادة قراءة) الفلسفة وخطابات العلوم الإنسانية[3] .

بينما يرى الناقد الأسترالي ديفيد بشبندر أن التفكيك مقاربة فلسفية للنصوص أكثر مما هي أدبية إنه نظرية بعد البنيوية post structuralist ولا تدل (بعد) هنا على أن التفكيك يحل محل البنيوية باعتباره نظرية أحدث زمنيا ولكنها تدل بالأحرى على أنه يعتمد على البنيوية كنظام تحليلي سابق وهو أيضا " نظرية تهدف إلى إنتاج تغييرات لنصوص خاصة (...) أقل مما تهدف إلى فحص الطريقة التي يقرأ بها القراء هذه النصوص". [4]

تسعى التفكيكية إلى تحرير النص الحي المفتوح من قيد القراءة الأحادية المغلقة القاتلة، فقد كان دريدا ـ على حد تعبير أمبيرتو إيكو ـ يبتغي تأسيس ممارسة (فلسفية أكثر منها نقدية) تتحدى تلك النصوص التي تبدو وكأنها مرتبطة بمدلول محدد ونهائي وصريح .

وبلغة مؤرخ نقدي واضحة يقدم لنا كريس بلديك (C.Baldic) القراءة التفكيكية على أنها منهج يتبين ـ بوساطته ـ أن معاني النص في وسعها مقاومة

---

(1) الكتابة والاختلاف : جاك دريدا ، تر ، كاظم جهاد ، ص 60

(2) ينظر:المرجع نفسه: ص 63.

(3)مناهج النقد الأدبي : يوسف وغليسي ، دار جسور للنشر و التوزيع، الجزائر، ط 3، أكتوبر ص 174 .

(4)ينظر: نظرية الأدب المعاصر وقراءة الشعر: ديفيد بشيندر، تر، عبد القدوس عبد الكريم، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ، د ط ، 1996 ، ص 75 .

الاستيعاب النهائي ضمن الإطار التأويلي ثم يختزل لنا مرجعيات القراءة التفكيكية في جملة مبادئ عبر صفحات قليلة من كتابه، استطعنا أن نقولبها في هذه المعادلة النقدية:

التفكيكية = اعتباطية العلامة اللغوية (دي سوسير) + شيء من الشك الفلسفي (نيتشه و هيدغر)+آلية القراءة الفاحصة وأفكار الالتباس والتورية (النقد الجديد) + أولوية اللغة على الدلالة (مدرسة بال)

إن القراءة التفكيكية على حد تعبير جيرار جنجومبر تستهدف تفجير النص انطلاقا من مبدأ اللاتماسك وجعله يلعب ضد ذاته .

وهناك من يرى أن التفكيكية تتجلى في أنها تقوض مفهوم الحقيقة بمعناه الوضعي التجريبي وتحول سؤال الفكر إلى مجالات اللغة والتأويل .

في حين يعرفها آخرون على أنها قراءة تقدم احتمالات المعنى المناقض بطريقة لانهائية حيث إن النص الذي يتيح القراءة يستدعي من قراءة، إذ قراءاته تتعدد بتعدد مستوياته وتختلف باختلاف قراءته[1] .

ويرى البعض أن التفكيكية في روحها وفلسفتها جاءت لزعزعة وخلخلة المفاهيم التي تمكنت من الثقافة الغربية وأصبحت في حكم المسلمات، بهدف بيان زيفها وتقويضها في النهاية وترى التفكيكية أن كل تأويل وقراءة ومعنى هو ترتيب مؤقت ونجاح مؤقت في إيقاف تدفق المعاني اللا منتهي الذي يولده النص، وأن النص والقارئ يتفاعلان لإنتاج لحظات مع المعنى تكون دائما مختلفة وعابرة .

إن عبارة الحركة التفكيكية لها معنيان في آن معا. أحدهما فضفاض والآخر محدود. ففي معناها الفضفاض تتسع الحركة لتشمل ما هو أبعد من النقد الأدبي، إذ صار" التفكيك " شعارا يؤشر على توجه معين في العلم السياسي والتاريخ

(1)نقد النص: علي حرب، المركز الثقافي العربي، المغرب – لبنان، ط 4، 2005، ص 20.

والقانون مثلما الحال في دراسة الأدب، وكل هذه الفروع المعرفية يضطلع التفكيك ضمنا بإثارة مشروع يفضي إلى قلقلة أسس هذه الفروع قلقلة جذرية ومن نظر المحافظين في هذه العلوم، تثير كلمة التفكيك لديهم نوعا من الازدراء العدمي نحو القيم والأعراف التقليدية التي تؤسس هذه العلوم، فيغدو التفكيك مرادفا لـ" متطرف سياسي" ينتقد انتقادات ضالة الأفكار المثلى المعتمدة والراسخة بأسلوب ملتبس ومثقل بالمصطلحات الطنانة. أما مؤرخو الأفكار المستقبليون فيستخدمون مصطلح النزعة التفكيكية للإشارة إلى المؤديات الناجمة عن الإقحام المفاجئ لأفكار نيتشه وهيدجر في الحياة الفكرية على مستوى العالم الناطق بالإنجليزية ومن هنا سيبدو التفكيك أو النقد الأدبي التفكيكي مجرد تقليد من تقاليد الفكر الفلسفي الأوروبي المقحم على ثقافة أكاديمية كانت قد تجاهلت هذا الفكر من قبل .

إن التفكيك من حيث كونه إجراء لتقدير نصوص تنتهي إلى تراثنا ليس إجراء يتحرى آثار التشقق الذي ينتاب الديالوج " ثنائية الصوت " يحاول التفكيك بالأحرى قلب الترابيث المتضمنة داخل العبارات التي تم تحديد العنصر الديالوجي فيها. وهو يحاول القيام بخلخلة عملية الإبدال التي ينطوي عليها السابق واللاحق وهي خلخلة تعقبها إزاحة نسق الميتافيزيقيا الغربية بكامله إزاحة ارتجاجية[1] .

ويمكن أيضا تعريف التفكيك على النحو الآتي:

التفكيك هو تفتيش يقظ عن " السقطات " أو نقاط العمي، أو لحظات التناقض الذاتي حيثما يفصح لاإراديا التوتر بين بلاغته ومنطقه بين ما يقصد قوله ظاهريا، وما يكره على أن يعنيه رغما عنه.

إذا أصبح جليا الآن أن التفكيكية تحاول أن تكشف عن تناقضات النص وشروخه ، ووهم الاستقرار الذي يحاول أن يوحي به، وكل ذلك من أجل زعزعة وخلخلة وهم المعنى المنسجم أيضا الذي يخلص إليه الناقد أو المؤول على حساب فائض المعنى الذي يتدفق من النص .

(1) البنيوية و التفكيك: مداخل نقدية مجموعة من الكتاب ، تر : حسام نايل، ص 179.

I- 2- دلالات التفكيك: (La Dé- construction)

التفكيكية ما هي إلا استراتيجية وليست منهجا في قراءة النصوص ولا يمكن في يوم من الأيام أن تحول إلى منهج.[1]وبذلك تحسب على أنها استراتيجية للعب مع الدلالات،ويمكن إضافة كلمة الحر لتصبح اللعب الحر بالدلالات وذلك من خلال عدد من الاحتمالات حيث يمكن أن تفك التفكيك الـ: (Dé- construction) نفسه لنحصل على :

- Dé قمع خياطة = نسيج = نص
- Dé زهرة النرد = لعبة = احتمال (الضرورة،والمصادقة)
- Dé فعل الاشتقاق،والانفصال (فعل يفيد العكس).
- Construction = الأصل،البناء،والتأسيس.[2]

و نمثل هذه الدلالات كالتالي:

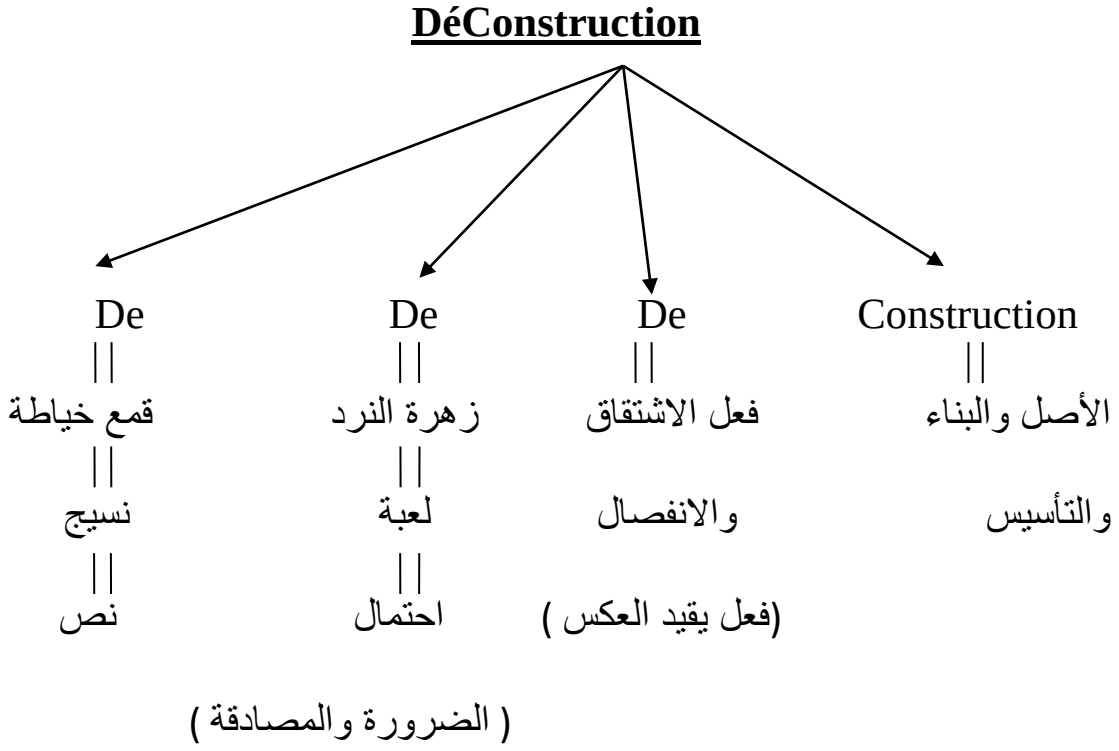

(1) الكتابة والاختلاف: جاك دريدا ، ص 61.
(2) جاك دريدا: إشراف محمد شوقي الزين ، ص 52 .

وبالتالي نحصل من خلال هذا التفكيك كمصطلح على "Déمن -Dé construction " هي نص كنسيج،ولعبة كاحتمال وخلخلة وإزاحة،تشابك المعنى،والعبارة والإشارة بالمعنى الجيولوجي،هو وجود طبقات (strates) مترسة ينبغي نحته أو إزاحته،وبالمعنى الاستراتيجي إن هذه الطبقات منسوجة بحيث يتعذر الكشف عن لمحة النسيج "troue" والسلسلة" chaine"

فالنص هو نسيج مركب من إشارات وتعبيرات،ودلالات متداخلة ومتشابكة تستدعي التفكيك،والعزل لفحص بنيتها،وجذورها المتضاربة وفق دقة وحذاقة.[1]

يسعى دريدا هنا إلى نقض هذا النسيج وكشف الاحتمالات من خلال اللعبة،كشف الطبقات من خلال الخلخلة والإزاحة... فكل هذه الأعمال تستهدف النص لتقف على أصوله،ومقوماته التي قام عليها حتى يتمكن من تفكيك مركزياته،ويعيد بناءها من جديد.

وبما أن الترجمة تسهم في توسيع المعارف وانتشارها كما أسهمت في إثراء القراءة العربية لدريدا،وبالتالي فقد انتقل التفكيك إلى بيئات الفكر النقدي في الساحة العربية من خلال الترجمة،والتعريف والمعارضة،والاستثمار،وذلك منطلق مدرج زمني يستوعب حركة الهجرة والانتقال منذ الإرهاصات البسيطة الأولى ووصولا إلى آخر ما يتجلى في جنيات المشهد. وهذه الترجمات قد أدخلت تعريبات، و إبدالات مختلفة إلى العربية فيما يخص المصطلح الأساس لهذه الاستراتيجية الهادفة إلى تفكيك / تقويض/ هدم/ تشريح /..النصوص على إثر هذه الإبدالات المتعددة والمسميات المختلفة لمسمى واحد قد أوقعت النقاد المترجمين في إشكالات عريضة حول الاتفاق على تسمية خاصة لهذا المسمى لكن هذه الدعوات والنداءات باءت بالفشل،وغدت تساير مجمل المحاولات،والاجتهادات المختلفة في الترجمة .

---

(1)تأويلات و تفكيكات: محمد شوقي الزين ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت ـ ط 1،2002،ص 119.

ويذهب وغليسي إلى أن العراقي سامي محمد هو أول من وضع مصطلح التفكيكية مقابلا للمصطلح الأجنبيLa Dé CONSTRUCTION وذلك في عام 1980،ثم عاد فيما بعد إلى استعراض المحاولات العربية المختلفة لوضعه مقابل عربي لهذه المفردة،فلاحظ أن عبد الله الغذامي وعبد الملك مرتاض قد استخدما التشريحية، وأن سعيد علوش قد استخدم التفكيك وكذلك كاظم جهاد الذي ترجم كتاب الكتابة والاختلاف لجاك دريدا. ثم عرج من جديد على يد عبد الملك مرتاض ليبين أنه عوض استعمال التشريحية بالتفويضية مضاهيا في ذلك ميجان الرويلي،وسعد البازعي كما ذهب هذان الأخيران إلى القول أن " التفويض هو مصطلح الذي أطلقه الفيلسوف الفرنسي المعاصر جاك دريدا على القراءة المزدوجة التي اتبعها في مهاجمة الفكر العربي الماورائي منذ بداية هذا الفكر حتى يومنا هذا،وقد حاول بعضهم نقل هذا المصطلح إلى العربية تحت مسمى " التفكيك" لكن مثل هذه الترجمة لا تقترب من مفهوم دريدا[1]،من خلال هذا القول نجد أن الناقدين يقدمان مصطلحا يريان أنه أقرب وأصلح من التفكيك في التدليل علما قصده دريدا بمصطلحه "DE- CONSTRUCTION" وهو مصطلح التقويض غير أن هذا المصطلح لم يسلم هو الآخر من اتهامهما؛حيث يقولان عن مصطلح "التفكيكية " حالها في هذا حال مصطلح التقويض على أن التقويض أقرب من التفكيك إلى مفهوم دريدا.[2]

ونخلص إلى ما خلص إليه وغليسي في قوله إن مواجهة الخطاب النقدي العربي المعاصر لمصطلح"Dé- construction" بهذا الكم المعتبر من الوحدات الاصطلاحية (التفكيك، التفكيكية، التقويض، التقويضية، التشريحية، التحليلية، بنيوية، النقض) وربما وحدات أخرى لا علم لنا بها إلا يمكن أن يعني إلا أن المصطلح لايزال في حده ومفهومه مكتفيا بالكثير من الغموض والافتعال،وأنه لم يفهم على حقيقته (الدريدية) بقدر ما كان إنتاجا نقديا محليا لكنه مغلق ببهارج أجنبية!

(1) دليل الناقد الأدبي: إضاءة لأكثر من خمسين تيارا و مصطلحا نقديا معاصرا سعد البازعي و ميجان الرويلي، مركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، بيروت ، ط 2 ، 2000. ص 107.

(2) دليل الناقد الأدبي: سعد البازعي و ميجان الرويلي ، ص 107 .

II-المبادئ والمسار الابستيميولوجي:

II1-- المبادئ:

إن التفكيكية استراتيجية في قراءة النصوص ظهرت في نهاية الستينات وأخذت تتبلور وتنشأ كبديل عن الطرح البنيوي، حيث أخذت تتبلور أفكارها الأولى على أنقاض المنهج البنيوي إلا أنها لم تكتمل أصولها بعد ولعل مرد ذلك إلى كون المنظرين للتفكيك هم رواد البنيوية وعلى رأسهم رولان بارت وجاك دريدا حيث كانت دعوة التفكيكية كاستراتيجية نقدية، لنقض وتقويض النصوص، معتمدة في دعواها على جملة من المبادئ أهمها[1] :

*عدم قصدية المؤلف في المعنى: وهذا ما يفتح الباب أكثر لتعدد القراءات أو ما يسمى بلا نهائية الدلالة فاسحا المجال أمام التأويل والهدم وإعادة البناء .

*نسف الحدود القائمة بين النصوص: أو ما يعرف بالبينصية Intertextualité

* التشكيك في القيم والثوابت : إذ زعزعت النصوص بالشك ورفضت التقاليد والقراءات المعتمدة .

وعلى كل الأحوال يرى التفكيكيون أن سيكولوجية الإنسان تعيش تحت رحمة الجزء اللاواعي من شخصيته والتي يصعب ضبطه أو تحديده بشكل دقيق ومن جهة أخرى فإن القيم الإنسانية غير ثابتة وهي عرضة للتغيير حسب الظروف المحيطة بها صغيرها وكبيرها ومن جهة ثالثة فإن اللغة التي نستخدمها تتطور باستمرار حسب السياق والموقف والنواحي البراغماتية التي تلف النص وتحيط به وهي اعتباطية كما أكد اللغوي الشهير سوسير، ويرون أن هناك ذاتية خاصة بين القارئ والكاتب يصعب تحديدها .

(1) جاك دريدا : محمد شوقي الزين ، ص 21 .

II-2- المسار الابستيميولوجي والسياق المعرفي لاستراتيجية التفكيك:

ومما لاشك في أن لكل منهج أو نظرية أو استراتيجية منطلقات ومسارات ابستمولوجية معرفية حتى تتمكن من الوصول إلى الأهداف والغايات. وهذا ما اعترى التفكيك كونه استراتيجية تزعزعت في تربة غريبة وهي أمريكا.وبالتالي فللتفكيك سياق معرفي ومسار ابستمولوجي يتحدد من خلال نقاط أربع هي كالتالي:

جينيالوجيا التفكيك

المسار الابستمولوجي والسياق المعرفي لاستراتيجية التفكيك

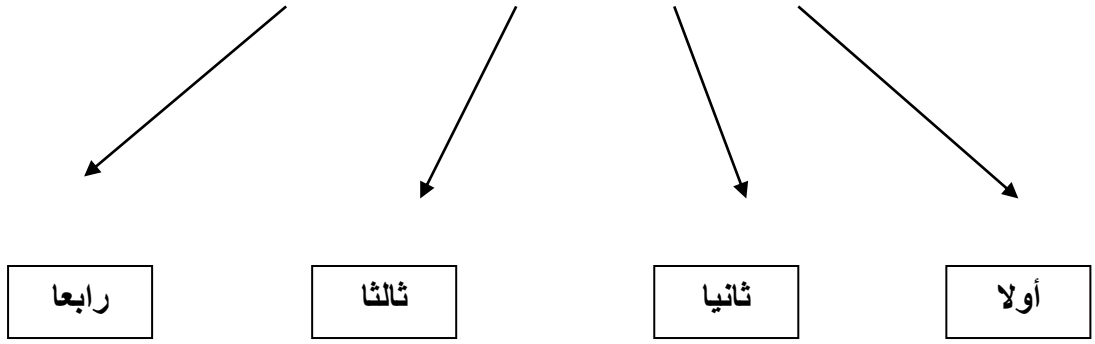

التفكيك نقد التفكيك موجه للبنيوية

اعتماد التفكيك على الشك واليقين

تأثر التفكيك بنظرية التلقي

انتقال من فرنسا إلى أمريكا

أولا: التفكيكية نقد موجه للبنيوية:

لقد انطلقت بوادر التفكيك وبدأت تظهر في أوج الأزمة البنيوية؛ حيث ظهرت العيوب النسقية التي وصلت إليها وبذلك اتخذها روادها ذريعة للانسلاخ منها، والتجرد كلية منها إلى إنشاء استراتيجية جديدة تساهم وتمكن من قراءة النصوص

لعلها تصبو إلى تحقيق ما عجزت البنيوية عن تحقيقه في تقديم مشروع متكامل للتحليل.

ثانيا: اعتماد التفكيك على الشك و اليقين:

اعتمد التفكيك على الشك في نسف واقعية النصوص، وقد ترجم التفكيكيون هذا الشك الفلسفي نقدا إلى رفض التقاليد، رفض القراءات المعتمدة، رفض النظام والسلطة من ناحية المبدأ، وبهذا الفهم ينفون المعرفة اليقينية الصحيحة، وبالتالي نسف الشك في كل المعتقدات والتفسيرات التي سبقته وأتاح فرصا عديدة للعب الحر بالدوال على حساب المدلولات.

ثالثا: تأثر التفكيك بنظرية التلقي:

لم يكتف التفكيك بهذا وحسب بل تعداه إلى التناص المعرفي إذ يحكم تزامن استراتيجية التفكيك ونظرية التلقي، فقد احتكا معا، و تناص التفكيك مع أهم مبادئ التلقي، إن كلا من التلقي والتفكيك يلتقيان في أهم مبادئهما وهو إلغاء النص و قصدية المؤلف، وبذلك نجد كليهما يركزان على القارئ / المتلقي إذ هو الوحيد الذي يحدد المعنى دون سائر العناصر وإن أي مناقشة للتفكيك لابد أن تبدأ بالقارئ، وتجربة التلقي لا يوجد قبل حدوثها شيء. وبهذا التقارب الحادث بينهما نجده قد خلق لحمة بينهما ووحدة انصهار، ظل من خلالها التفكيك يعد نظرية تلق متطورة.

رابعا: انتقال التفكيك من فرنسا إلى أمريكا:

فيما يخص هذه الحركة فالفضل في ذلك يعود إلى دريدا الذي زرعه في إقليم الولايات المتحدة الأمريكية، حيث إن التربة الفرنسية هي التي أفرزتها ثم لفظتها فيما بعد ـ التفكيكية ـ نتيجة تناقضها كاستراتيجية تشكيكية مقوضة، ثائرة على قيم تتنافى والمزاج الثقافي الفرنسي .

وعلى إثر هذا الرفض أضطر أصحابها إلى الهجرة إلى إقليم آخر غربي يؤمن بأفكارها المحورية، فكانت الانطلاقة مع الأب الروحي لهذه الاستراتيجية

جاك دريدا الذي خرج بها كنقلة نوعية إلى أمريكا قصد غرسها هناك، وأول من استقطبها هناك جامعة " ييل " النقدية وأخذتها كبديل للبنيوية فما إن لاح نجمها مع دريدا حتى سارع كبار النقاد الأمريكان إلى استقطابها أمثال: بول دي مان ، جاك هيليس ميللر ، هارتمان ...

وعلى نهج دريدا سلك النقاد الأمريكان طريق النقد التفكيكي فأخرج بول دي مان كتاب التحليل كتاب التحليل الذاتي والعمى والبصيرة وغيرها ...[1]

وخلاصة لما قيل إن التفكيك لم يأت من العدم بل له مرجعيات ومسارات ابستمولوجية، تبين أن ظهوره جاء نتيجة لعوامل كثيرة فتارة ثورة على ما سبقه من مناهج نقدية وتارة اعتماده على مركزية مميزة كالشك وتارة أخرى خاصية مكتسبة نتيجة احتكاك وتأثير وتأثر (نظرية التلقي) وتارة أخرى قفزة نوعية ومرحلية جاءت نتيجة جدلية بين رفض وصراع من أجل البقاء، وبالتالي فكل هذه المعطيات وغيرها بلورت استراتيجية التفكيك وأفرزتها كإجراء يمكن تطبيقه على جميع الأشكال الأدبية مشكلة بذلك واقعا بديلا عن النقد الكلاسيكي.

(1) جاك دريدا : محمد شوقي الزين ، ص 23 ، 30.

II- 3- الأدب عند التفكيكين:

لم يبرز تأثير فلسفة دريدا في النقد إلا في كتابات نقاد جامعة ييل و بخاصة بول دي مان، و يصور دي مان العلاقة بين الأدب و الفلسفة بقوله:" إن الأدب أصبح الموضوع الأساسي للفلسفة و نموذجا لنوع الحقائق (أو الحقيقة) التي تطمح الفلسفة لبلوغها" ، و يعني ذلك أن الأدب لا يزعم أنه يحيل القارئ إلى الواقع الحقيقي خارج اللغة فهو تعريف خيالي؛ و تاريخ الفلسفة حسب تصور د ي مان كان رحلة طويلة في دنيا الإحالة أو الإحالية، و إلى المضمون بعيدا عن الوعي بذاته، أي بأن الفلسفة استمدت أصولها من مصادر بلاغية أو من علم البلاغة نفسه.

و يستند د ي مان هنا على قول دريدا بأن الأدب يمكن اعتباره حركة تفكيك ذاتية للنص إذ يقدم لنا معنى ثم يقوضه في آن واحد، فالأدب أقرب ما يكون إلى تجسيد مبدأ الاختلاف.

و هو يحتفل بوظيفة الدلالة و في الوقت نفسه بحرية عمل الكلمات في نطاق الطاقات الاستعارية وألوان المجاز و الخيال دون الجمع بين المتناقضات فلا يصل أبدا إلى الوحدة[1]. وأهم ما يلاحظ هذا هو أن هذا التصور للأدب باعتباره نصوصا متداخلة ينفتح بعضها على بعض ولا يجد النص منها حدودا تمنعه من تجاوز ذاته بدلا من التصور القائم على وجود نص مستقل أو كتاب مغلق يناقض تعريف الأدب الذي جاء به النقد الجديد باعتباره عملا يتمتع بالوحدة العضوية، و تستند النظرية كذلك إلى ما يطلق عليه" خبرة القارئ" أو تجربة قراءته للنص، و هو مرتكز يؤدي آخر الأمر إلى التصالح بين المعاني، و توحيد القوى المتصارعة و إحاطة النص و القارئ جميعا في آخر المطاف إلى العالم الخارجي، و من ثم يقول التفكيكيون إن الحقيقة الشعرية كانت تستمد حياتها في نظر النقد الجديد الخارجي باعتباره حقيقة فوق الواقع اللغوي أي متعالية عليه[2].

---

(1) المصطلحات الأدبية الحديثة، دراسة ومعجم إنجليزي/ عربي:د: محمد عناني، الشركة المصرية العالمية للنشر- لوجمان، ط2، 1997،ص 143-144.

(2) المرجع نفسه: ص 145-146.

و يرى التفكيكيون أن المزية الأولى ترجع إلى أنه خيال أو كذب، فالشعر يحتفل بحريته من الإحالة و هو واع بأن إبداعاته ذات أساس تخيلي، و لذا فإنه لا يعاني مثلما تعاني النصوص الأخرى من مشكلة الإحالة إلى خارج النص و هو ما يلخصه أحد شراح النظرية –فيرنون جراس- بقوله:" ترجع أهمية الأدب في ظل التفكيكية التقويضية إلى طاقته على توسيع حدوده بهدم أطر الواقع المتعارف عليها، و من ثم فهو يميط اللثام عن طبيعتها التاريخية العابرة، فالنصوص الأدبية العظيمة دائما تفكك معانيها الظاهرة سواء أكان مؤلفها على وعي بذلك أم لا من خلال ما تقدمه مما يستعصي على الحسم. والأدب أقدر فنون القول على الكشف عن العملية اللغوية التي تمكن الإنسان بها من إدراك عالمه مؤقتا و هوإدراك لا يمكن أن يصبح نهائيا أبدا.[1]

" لا شيء خارج النص":

تشكل هذه العبارة أساسا من أهم أسس النظرية التفكيكية و قد عبر دريدا عن ذلك بقوله :" لا يوجد شيء خارج النص"، و معنى ذلك رفض التاريخ الأدبي التقليدي و دراسات تقسيم العصور و رصد المصادر لأنها تبحث في مؤثرات غير لغوية و تبعد بالناقد عن عمل الاختلافات اللغوية، و يعتبر التفكيكيون أن الغوص في الدلالات و تفاعلاتها و اختلافاتها المتواصلة تعد معادلا للكتابة، فمن حق كل عصر أن يعيد تفسير الماضي و يقدم تفسيره الذي يرسم طريق المستقبل، فالتفسيرات أو القرارات الخاطئة المنحازة هي السبيل الوحيد لوضع أي تاريخ أدبي بالمعنى التفكيكي.و قد طبق جيفري هارتمان هذه القناعة على أعمال لودذوورث قتلت بحثا فانطلق بحدود تفسيراته لشعر هو كتب مقالات مستوحاة من النص دون أن تتقيد به و تحفل بالتوريات اللفظية بأشكالها المختلفة و إحالات الألفاظ و التعابير

(1) المصطلحات الأدبية الحديثة، دراسة ومعجم إنجليزي/ عربي:د: محمد عناني، ص 147.

إلى أعمال سواه و من ثم احتمالات التناص مظهرا في ذلك براعة يحسده عليها الشباب و لا يوافقه عليها الشيوخ لهدم المعاني التي ألفتها الأجيال على مدى قرنين من الزمان.[1]

و حسب الدكتور محمد عناني فإن المذهب يشهد في التسعينات تحولا عجيبا يسمى:"استخدام المصطلح دون مضمونه"، فالنقاد التفكيكيون أصبحوا يسخرون من القول بأن اللغة وظيفة عقلانية أو معرفية و قد أجروا تعديلات غربية على مفهوم العلاقة بين اللغة و الواقع أو الحقيقة فبدأوا يرصدون حركة اللغة من الخارج عن طريق رصدها في تلافيف النص أو النص الباطن مثل الرغبات الجنسية (فرويد) أو الماركسية أو ما وصفه نيتشه بالنزوع إلى التسلط و إرادة القوة؛ منهم من يقول إن هذه الرغبات غير العقلانية تساهم في عملية الدلالة على المعنى أكثر مما تساهم فيه المعرفة العقلية، و إن كان الدكتور عناني يصف هذه الاتجاهات الجديدة بأنها تنتفع بالتفكيكية دون أن تكون تفكيكية.[2]

(1)المصطلحات الأدبية الحديثة، دراسة ومعجم إنجليزي/ عربي:د: محمد عناني، ص 148.

(2)دليل الناقد الأدبي : د: ميجان الرويلي ود: سعد البازعي ،ص 54.

III- أعلامه:

تعددت أسماء النقاد الذين خرجوا من عباءة البنيوية وأسهموا في تكوين ملامح التيار التفكيكي في الربع الأخير من القرن العشرين، وأهم هؤلاء هم: بول دي مان (Deman) و جيوفري هارتمان (Hartman) و باربر جونسون و هيليز ميللر، و هارولدبلوم و ميشال فوكو Foucault و فيليكس غاطري Guattari و جاك لاكان Lacan و جيل دلوز و رولان بارت Barthes [1] .

أما عن أهم رواد وأعلام التفكيكية نجد جاك دريدا الذي أسهمت آراؤه في تكوين الكثير من ملامح هذا الاتجاه و هؤلاء هم رواد التفكيك على الصعيدين النظري والتطبيقي على الرغم من تباين أسلوبهم وحماسهم .

وبمجرد الإشارة إلى "دريدا" و " وميشيل فوكو " يكتسب مصطلح التفكيكية معناه المفترض وبالرغم من الاختلاف بين هذين الرجلين إلا أنهما يعتبران منبعين من ثلاثة منابع أساسية كانت مصدر إلهام النزعة التفكيكية إذ زودها " دريدا " ببرنامج فلسفي في حين هيأ لها " فوكو " صبغة سياسية ذات طابع يساري، ومع ذلك فلا أيا منهما اعتبر نفسه ناقدا أدبيا ولا تطلع إلى تأسيس مدرسة في النقد الأدبي ودون المنبع الثالث، أي دون كتابات " بول دي مان " سيصعب تخيل مجيء المدرسة إلى الوجود هذه الكتابات التي يدين لها النقد الأدبي التفكيكي بالكثير من نبرته المغايرة و توكيداته الخاصة[2] .

(1) مناهج النقد الأدبي: يوسف وغليسي، ص 168.

(2) ينظر: البنيوية والتفكيك: مداخل نقدية، تر : حسام نايل ، ص 178.

IV-هدف التفكيك:

يتجه التفكيك بشكل أساس إلى نقد الطرح البنيوي وإنكار ثبات المعنى في منظومة النص واختزال الفرد المنتج وتحويل مسار السلطة الدلالية إلى حركة الدال وتحليل الهوامش والفجوات والتوقفات والتناقضات والاستطرادات داخل النصوص، بوصفها صياغات تسهم في الكشف عن ما ورائيات اللغة والتركيب(Meeta- Language)

ولقد جاء التفكيك ليزيل نظرية التمركز والمطلق ويستبدلها بالنسبية والتشظي والتشتت وانعدام اليقين المتمثل في نقد الثوابت .

ونظرية التفكيك تهدف إلى إيجاد تفسيرات لنصوص خاصة من خلال قارئ ذو قدرات عالية(القارئ النموذجي) لأن هذا النقد يقوم على الشك الفلسفي القائم على رفض الثوابت والتقاليد والتفكيك بهذا المعنى تفكيك لكل خطاب جاهز وإحداث فرجة في حديث النص تسمح بخلخلته وكشف جذوره.

ويهدف التفكيك أيضا إلى دراسة مع النصوص التي غلبت عليها صفة المطلق والمثالية.

وأما هدف التفكيك في البدء فهو " تقويض الميتافيزيقا الغربية أصلا حتى لا يبقى للغرب العقلاني، التنويري ما يفاخر به أمام النزعة التفكيكية المتنامية داخل أوساط فكرية يهودية معنية، انطلاقا من أن مصطلح الشتات أو التشتيت أو اللامركزية هو الثابت، الوحيد الذي ينبغي الأخذ به".[1]

إن غاية دريدا هي تأسيس ممارسة فلسفية أكثر منها نقدية، تتحدى تلك النصوص التي تبدو وكأنها مرتبطة بمدلول محدد ونهائي، إنه لا يريد تحدي معنى النص فحسب، بل يلمح إلى تحديد ميتافيزيقيا الحضور الوثيقة الصلة، بمفهوم

(1) ينظر جاك دريدا: أحادية الآخر اللغوية، ترجمة وتقديم : د.عمر مهيبل ، منشورات الاختلاف الجزائر ، الدار العربية للعلوم ، ناشرون ، بيروت ، ط 1 ، 2008 ، ص 16.

التأويل القائم على وجود مدلول نهائي .

إذا فالتفكيكية مشروع صاحب التحولات الأدبية المحدثة حيث سعى إلى تخريب المعنى الثابت وبالتالي كل منتجات الحداثة الغربية لينزع عنها صفة القداسة،ومن ثمة ليفتح مجالا لتبادل الأدوار والمراكز بين الأنا والآخر. وبالتالي يصبح التفكيك ممارسة تهدف للكشف عن الدلالات الخفية، مما يعني إنشاء نص جديد.

كما أن التفكيك يهدف إلى كسر الثنائيات الميتافيزيقية: داخل- خارج، دال- مدلول، واقع-مثال ...لإقرار حقيقة (المتردد اللايقيني) في عبارة (لا هذا...ولا ذاك).

إذن أصبح جليا الآن أن التفكيكية تحاول أن تكشف عن تناقضات النص وشروخه، ووهم الاستقرار الذي يحاول أن يوحي به وكل ذلك من أجل زعزعة وخلخلة وهم المعنى المنسجم أيضا الذي يخلص إليه الناقد أو المؤول على حساب فائض المعنى الذي يتدفق من النص وعلى حد تعبير بابرا جونسون فإن تفكيك النصوص يقوم على تأليب قوى الدلالة المتناحرة داخل النص على بعضها البعض فيضرب بذلك الاستقرار القلق الذي يدعيه أي معنى.

ثالثا: غياب التفكيك وحضوره في الفكر النقدي العربي:

Iـيراوح التفكيك، غيابا وحضورا بين ثلاث وجهات نظر:

- انعدام وجود التأثيرات البارزة للتفكيك في الفكر النقدي العربي.
- وجود تأثيرات بارزة للتفكيك في الفكر النقدي العربي.
- وجود تأثيرات متفاوتة للتفكيك في الفكر النقدي العربي.

I-1- انعدام وجود التأثيرات البارزة للتفكيك في الفكر النقدي العربي:

لعل أبرز من يتبنى هذا الطرح جابر عصفور وهو قد جهر بهذا الرأي في مواضع متعددة من كتاباته خصوصا في أعقاب السجالية التي احتدمت بينه وبين عبد العزيز حمودة إثر صدور كتابه الأخير المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك.

وأسباب التعارض الذي يقف عقبة أمام انتشار التفكيك في النطاق العربي فهي كامنة في " البنية العقلية الغالبة على الناقد العربي بهمومها الخاصة " والمقصود بذلك كما يلاحظ عصفور هو انحياز الناقد العربي إلى الأفكار النسقية ذات العناصر المنتظمة ونفوره من الأفكار ذات المركز، أو العلة أو المعنى الثابت.

أما عن ضآلة حضور دريدا وشحوب تأثير التفكيك في الثقافة العربية هما ناتجان، بصياغة أخرى أكثر تفصيلا، عن تراجع الجامعات العربية وانصراف أغلب الأساتذة عن تطوير معارفهم وخوف الكثير منهم من مغبة القمع نتيجة ترجمة فلسفات جذرية مثل تفكيك دريدا كما أن أسباب ذلك عدم توافر المترجمين الأكفاء وعدم تشجيع المؤسسات التعليمية والثقافية، إضافة إلى غلبة التيارات المحافظة على النقد العربي من كل ما يربك مسلماتها من مثل عملية النقض المستمرة التي تنبني عنها فلسفة دريدا وفي سبيل إسناد دعواه يحدد جابر عصفور الشروط التي تتيح تأصيل حركة نقدية تفكيكية عربية من خلال ثلاثة جوانب يمكن التعبير عنها كما يلي:

- تمثل المفاهيم الأساسية للتفكيك.
- ترجمة الكتب التأسيسية للتفكيك ابتداء بكتب دريدا الأولى وانتهاء إلى أعماله الغزيرة في تتابعها المتوالي.
- تراكم التطبيقات التفكيكية العربية الجذرية الدالة والمؤثرة على المستويين الكمي والكيفي.

I-2- وجود تأثيرات بارزة للتفكيك في الفكر النقدي العربي:

خلافا للزاوية التي يعاني جابر عصفور منها وضع التفكيك في المحيط العربي يصر أحمد عبد الحليم عطية على بيان أثر جاك دريدا الذي امتلأت بكتاباته ساحة الفكر العربي، وشغلت به الثقافة العربية، وهو يؤكد رأيه بأن الثقافة العربية عرفت دريدا، وترجم عدد من نصوصه، وكثيرا من الدراسات حوله، وشروح عليه للتعريف بفلسفته وتطبيق منهجه سواء في الفلسفة أو النقد الأدبي، أو السيميولوجيا. وقد نهض بهذا أسماء لامعة من الباحثين وأساتذة الجامعات والمفكرون العرب من أقطار عربية كثيرة. بحيث يمكننا القول إن صاحب هوامش الفلسفة قد أصبح جزء من متن النص الأدبي العربي المعاصر وانتقلت فلسفته إلى الحضور وتحولت أفكاره من المسكوت إلى المعلن عنه.

ويقرر عطية نتيجة قاطعة بأن الكتاب العرب لم يتركوا عملا من أعمال دريدا إلا وتعرفوا عليه ولا جانبا من جوانب اهتمامه ـ خاصة المتأخرة ـ إلا وأعملوا فيه النظر قراءة ودراسة وترجمة ونقدا، بحيث صار الآن مع ميشيل فوكو أكثر الفلاسفة المعاصرين استحواذا على القارئ والمثقف العربي.

وفي موطن التدليل على ما يذهب إليه، يورد أحمد عبد الحليم عطية بعض مواضع الاهتمام التي شغلت من تعرضوا للتفكيك في ختام دراسته المطولة فيذكر من ذلك: اهتمام الباحثين العرب بالأصول الفلسفية التي نهل منها دريدا سواء لدى هيدجر أو نيتشه أو فرويد أو روسو وصولا إلى أفلاطون كما يشير إلى أثر الاعتناء بدريدا في إشاعة فكرة هدم الحدود بين الفلسفة والأدب، ويلفت النظر إلى ما صاحب

الاهتمام العربي بالتفكيك من رواج موضوعات مثل " الكتابة والأثر والدلالة " لدى بعض النقاد العرب.

ومن ناحية أخرى يشير عطية استرسالا في تعداد جوانب تأثير الاستثمارات التفكيكية في الفكر والنقد العربيين، إلى اهتمام أصحاب فكر الاختلاف في العربية بقضايا ذات أصداء ومرجعيات تفكيكية من مثل قضية الهوية والذاتية وقضايا إعادة النظر في الفئات المهمشة والثقافات المطمورة ونقد المركزية الأوروبية.

I -3-وجود تأثيرات متفاوتة التفكيك في الفكر النقدي العربي:

يصطف رأي محمد بدوي في مرتبة تكاد أن تكون وسطا بين وجهة نظر جابر عصفور وما يذهب إليه عبد الحليم عطية، فهو يثبت وجود مفعولات للتفكيك تدل على إسهامه في رفد جنبات المشهد النقدي العربي وإن كان لا يسرف في إسباغ أحكام القيمة، سلبا أو إيجابا، على أمثلة ومظاهر هذا الوجود ويظن بدوي أن التفكيك موجود على أنحاء مختلفة في بعض الكتابات، التفكيك الدريدي كأيديولوجيا لدى علي حرب يبدو أن بدوي مخالفا لجانب آخر من الشروط التي يضعها جابر عصفور كي يصح الحديث عن حضور التفكيك في التداول العربي، وهو الشرط المتمثل في ضرورة انطلاق من يتعامل مع التفكيك من منظومة المبادئ النظرية التفكيكية في شمولها وترابطها وأصولها وقواعدها، إذ من المبرر لدى بدوي أن يلجأ بعض النقاد إلى صنع منجزات الآخر في سياق مغاير لما نشأت فيه.

إن رأي محمد بدوي، إذن يتوسط بين الرأيين السابقين له، وهو يحاول أن يجد لتأثيرات التفكيك مساحة لا تقوم على التصور الأفلاطوني للنسخة بما هي محض تكرار للأصل، أو لإعادة إنتاج دريدا في الوسط العربي بما هو محافظة على أصول الكتابات المؤسسة بترابطاتها المعرفية و إشكالاتها الحافة وعدتها الإصلاحية[1] .

(1) جاك دريدا : محمد شوقي الزين ، ص 61 ، 67.

II- تلقي التفكيك في الأوساط الغربية و العربية:

II-1-التفكيك عند الغرب (دريدا):

يضع عراب التفكيك ـ جاك دريدا ـ بذكاء شديد عقبات عديدة ومتنوعة أمام أية محاولة لتعريف التفكيك.

وأول هذه التعريفات وهو تعريف شائع نسبيا يلح فيه دريدا على أن التفكيك ليس " منهجا "* أو " تقنية " أو طريقة من طرق النقد وكما أنه ليس نظرية عن الأدب، وبحكم هذا التعريف لن يكون للتفكيك علاقة بعملية تفسير النصوص التي طورها نقاد الأدب بدء من كوليريدج وانتهاء بإليوت و من جاء بعده من النقاد حتى وصلوا بها إلى درجة عالية من الرهافة والدقة.

فدريدا يتجنب بتصميم منه تعريف التفكيك وهو يصوغ هذه القضية بشكل موجز في " رسالة إلى صديق ياباني "- وهو نص يتناول إشكالات رئيسية محددة تثيرها عملية الترجمة، وهو يجيب صديقه الياباني بأن التفكيك لا شيء بما أنه يحيل إلى لا شيء، وكل شيء بما أنه يحيل إلى لا شيء أيضا، إنه أكثر من لغة ـ [1] كما عرفه لأول وآخر مرة في كتابه الذي يحمل عنوان " مذكرات من أجل بول دي مان" وأعاد تأكيده في كتابه أحادية الآخر اللغوية، وذلك أمام دهشة أصدقائه ومريديه الذين صعقوا لهول ما سمعوا بما أنه كان يخبرهم دائما أنه لا يجد الكلمات المناسبة لتعريف مالا يعرف Iude finissable وتفكير ما لا يمكن التفكير به Impensable .

هكذا رأينا كيف تلعب كلمة تفكيك دورا محدودا في كتابة دريدا كالدور الذي تلعبه كلمتي نقض وهدم في كتابة هيدجر وبداية لم تكن التفكيكية الشعار الذي أطلقه

---

* كون التفكيك ليس منهجا هو ما نادى به دريدا فهدفه منع احتواء التفكيك او تدجينه وبخاصة إذا أدركنا مفردة التفكيك على الدلالة الإجرائية او التقنية .

(1) جاك دريدا: أحادية الآخر اللغوية ، تر: د . عمر مهيبل، ص 15 – 16 .

هيدجر على تعاليمه الذي بثها كتابه الوجود والزمان، غير أنه لما كان دريدا قد نال شهرة في البلاد الناطقة بالإنجليزية وهي الشهرة التي لم تجيء من طريق أقرانه من الفلاسفة بل جاءت عن طريق نقاد الأدب فقد أصبح هذا الشعار لصيقا بمدرسته ففوجئ دريدا بأنه صار رائدا لها مما أصابه بالذهول .

ويشير مصطلح التفكيك في المقام الأول ـ كما استخدمه أعضاء هذه المدرسة إلى الكيفية التي يمكن بها رؤية السمات العارضة Accidenal featuares في نص بوصفها سمات تجعل فحواه الجوهري يضل عن قصده المزعوم فيعتريه تقويض تلقائي والمصطلح في نصوص يشير أيضا إلى العمليات التي تؤدي إلى زعزعة أنظمة العلامة اللغوية أو التي تسائل بالتحديد المعاني التي تنتجها هذه الأنظمة وهذه العمليات تكون متناقضة ومرتبطة بالحدس ومعقدة لذلك ليس ثمة ما يدهش في ارتباط مصطلح التفكيكية بمصطلح سوء الفهم ولا سيما أن فكرة " الفهم " ككل قد تعرضت إلى هزة جذرية في منهج دريدا، علما بأن المنهج لا يتضمن أبدا ما يوحي أن اللغة أصبحت " بلا معنى " أو أن القراءة التفكيكية يمكن أن تستغني عن إجراءات التحليل العقلاني، بل أن نصوص دريدا تستخدم العقل كي تحكم حدوده بغرض إضاءة الخلل في التقاليد الميتافيزيقية الغربية التي يعتبرها دريدا متمركزة حول العقل والصوت والذات المطمئنة لذاتها .

وخلاصة لما تقدم رأينا أن التفكيك منذ انطلاقته الأولى تبلور بوصفه استراتيجية جديدة في مقاربة النصوص الأدبية وبالرغم من هذا المصطلح ـ استراتيجية ـ مصطلح عائم بعض الشيء إلا أنه يوحي بكل الأحوال، بأن الممارسة التفكيكية تمتاز بالمرونة.هناك فكرة شائعة بين الفلاسفة مفادها أن دريدا سوفسطائي آخر الزمان اللعوب، سوفسطائي لعوب يصر على تحويل كل فرع من فروع الفكر إلى ضروب من اللعب البلاغي[1] .

(1) البنيوية والتفكيك : تر: حسام نايل ، ص 135 .

يعتقد موراي كريغر Murray krieger أن دريدا بنيوي نقدي تغلب على البنيوية وقهرها وربما يكون قد أبطلها أيضا وأضاف أن الهجوم الذي شنه دريدا يعد شكلا أكثر حداثة لذلك الهجوم القديم الذي شنه أفلاطون على الشاعر بوصفه خالق أساطير[1] .

"ويؤكد فريدريك جيمسون Frederic Jemson أن فكر دريدا ينفي وهم تخطي الميتافيزيقيا والهرب من النموذج القديم لغرض تمحيص الجديد وغير المكتشف"[2] .

(1) نظرية النقد : موراي كريغر، مطبعة جامعة جون هوبكتر، بلتيمور، لبنان ، 1972 ، ص 220 ، 243 .

(2) ينظر: سجن اللغة : فريديريك جيمسون ، مطبعة جامعة برنستون ، 1972 ، ص 76.

II-2-التفكيك عند العرب:

ما من نظرية أو استراتيجية نقدية تظهر في ربوع الأحضان الغربية إلا ويتسارع العرب إلى تمثلها بشتى الطرق، إما بترجمتها أو بتمثلها إجراءا وممارسة. وهذا ما سنوسم ملامحه في استراتيجية التفكيك، فقد عرفت هذه الأخيرة إزاحة معرفية من خلال عامل الترجمة إذ انقلت أعمال دريدا من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية فترجم كاظم جهاد الكتابة والاختلاف، ومنذر عباسي أطباق ماركس، وترجمت هدى شكري عباد مقال الاختلاف المرجأ "La Differance" كما ترجم فريد الزاهي مواقع أما عبد الكبير الخطيبي في تعاملاته النقدية مع البنيوية، وما بعد البنيوية فقد قدم للقارئ العربي جملة من الكتب والدراسات والأبحاث التي تناولت استراتيجية التفكيك على رأسها النقد المزدوج والكتابة والنحوية والاسم العربي الجريح وقد عرفت هذه الكتب الثلاثة ترجمة في سنة1970 .

ومن خلال هذا كله نستنتج أن انتقال التفكيك إلى بيئة الفكر النقدي العربي، تم عن طريق الترجمة، التعريف،المعارضة،بمعنى التمثيل والاستثمار على مدى زمني تحدد منذ مطلع السبعينات من القرن الماضي إلى الآن وهناك من يحدد أن الإرهاصات الأولى للتفكيك ظهرت في الفكر النقدي العربي بمناسبة صدور المجموعة الشعرية الأولى لبدر شاكر السياب سنة1971 حيث كتبت خالدة سعيد دراسة حول الشاعر،ولاحظت أنه لم يتخلص من سلطان ذاكرته،ولم يبلغ ما يسميه دريدا بقلق اللغة ذلك الذي يهز البنية الداخلية والتحتية للغة.[1]

في حين آخر أنه هناك من يؤرخ سنة1985 للبداية التفكيكية العربية بتاريخ صدور أول تجربة نقدية عربية تصدخ بانتمائه الصريح إلى القراءة التفكيكية (التشريحية) ،وهي تجربة الناقد السعودي عبد الله الغذامي في كتابه (الخطيئة والتفكير–من البنيوية إلى التشريحيةDéconstruction–قراءة نقدية لنموذج

(1)جاك دريدا: محمد شوقي الزين، ص 55،56.

إنساني معاصر) الذي كان يسعى إلى تطبيق النهج التشريحي على أدب حمزة شحاته، فوصف مقاربته التشريحية بهذه الكلمات: " ومادام جسدا،فلابد أن يكون القلم مبضعا يلح إلى هذا الجسد لتشريحه من أجل سبر كوامنه وكشف ألغازه في سبيل تأسيس الحقيقة الأدبية لهذا البناء أي أن ذلك تفكيك ونقض من أجل البناء وليس لذات الهدم. وهي عملية مزدوجة الحركة حيث نبدأ من الكل داخلين إلى جزئياته لتفكيكها واحدة واحدة، لنعيد تركيبها مرة أخرى كي نصل إلى كل عضو حي لها.."[1]

ولأن الغذامي يدرك أن تشريحيته هذه تختلف عن التفكيكية التي أسس لها

دريدا فإنه يوضح موقفه من خلال قوله بأن تشريحيتة هذه تختلف عن تشريحية دريدا، تلك التي يقوم على محاولة نقض منطلق العمل المدروس من خلال نصوصه...الخ.

إذن هذه هي التفكيكية كما يريدها الغذامي، لا تبحث في شروخ النص وتناقضاته، ولا تريد إبطال تمركزه المنطقي، أو محاولة انغلاقه على معنى مستقر،إنما تفككه إلى " جمل" تنتقي منها ما هو شاعري فقط و تهمل الباقي.

كانت تلك التجربة حافزا منهجيا قويا لظهور تجارب سعودية أخرى، جعلتنا نقرر- باطمئنان- ريادة الخطاب النقدي السعودي المعاصر للتفكيكية على المستوى العربي بأسماء نقدية ذات صيت عربي طيب،عرفت بتنظيرها وإسهاماتها الجادة في نقد النقد خصوصا، أمثال : عباد خزندار، وسعد البازعي وميجان الرويلي (الذي أصدرعام 1996 كتابا في هذا الشأن سماه " قضايا نقدية ما بعد بنيوية – سيادة الكتابة نهاية الكتاب"، يتقاطع عنوانه الفرعي تقاطعا عموديا مع مبحث جاك دريدا الشهيرعن "نهاية الكتاب وبداية الكتابة "،إضافة إلى أسماء قليلة أخرى،يمكن أن نذكر منها : علي حرب،بسام قطوس وعبد الملك مرتاض...[2]

(1)الخطيئة والتكفير: من البنيوية إلى التشريحية: دراسة نقدية لنموذج معاصر ، عبد الله الغذامي، الهيئة المصرية للكتاب القاهرة، ط 4 ، 1998 ،ص 88.
(2)مناهج النقد الأدبي: يوسف وغليسي ص177 ،178.

وبالرجوع إلى الإرهاصات الأولى وبالتحديد إلى الدارسة التي قامت بها خالدة سعيد والتي كانت سنة1971 ،عدت هذه السنة أول منطلقات التفكيك كما تعد أولى ملامحه أيضا ما قامت به مجلة الثقافة الجديدة المغربية، حينما قدمت ترجمة محمد البكري لنص دريدا " البنية،اللعب،العلامة في خطاب العلوم الإنسانية ".

وهذه هي المحاولات الأولى للوقوف على نتائج دريدا وتعريبه وتوسيع إمكانات تداوله، ولأهمية النص وذيوع صيته، فقد ترجم ثلاث مرات:

1- ترجمة محمد البكري التي نشرت في مجلة الثقافة الجديدة المغربية.

2- ترجمة محمد بولعيش التي نشرت في مجلة بيت الحكمة المغربية.

3- ترجمة جابر عصفور التي نشرت في مجلة فصول المصرية.

إذا فالمحاور السابقة الذكر (الترجمة،التعريف،المعارضة) سمحت بدخول التفكيك إلى الساحة النقدية العربية، إذ وجدت الترجمة مع كل من محمد البكري ومحمد بولعيش وجابرعصفور والتعريف مع خالدة سعيد حينما تعرضت لمجموعة بدر شاكر السياب الشعرية بالدراسة، أما المعارضة فقد كانت مع عبد الكبير الخطيبي في مشروعه التفكيكي الذي أسس له في كتبه الثلاثة.وعليه فقد استثمر العرب فكر الاختلاف وأخذوا يفككون الأدب العربي ويؤلفون حول هذه الاستراتيجية الكتب والمقالات مؤصلين بذلك لنظرية يقومون عليها في النقد، إضافة إلى الأسماء السالفة الذكر،نذكر :

1- عبد العزيز حمودة من خلال كتابه المرايا المحدبة من مصر .

2- عبد الله الغذامي من خلال كتابه الخطيئة والتكفير : من البنيوية إلى التشريحية من السعودية.

3- عبد الله إبراهيم من خلال كتابه المركزية الغربية من العراق .

أما من الجزائر فنجد بختي بن عودة، الذي اهتم بالتفكيك وحاول أقصى جهوده لاستثمار هذه الإستراتيجية في قراءة المنظومة الثقافية العربية عموما، والجزائرية خصوصا، هذا الذي تؤكده دراسته المهمة في عيون المجلات والجرائد.

وبما أنه وكما رأينا تلقي العرب للتفكيك كان على مدارج متعددة؛ فإن السؤال الأبرز والأكثر إلحاحا في هذا الصدد هو : ما هي الاستراتيجيات التفكيكية في إنتاج النقاد والمفكرين العرب،وما المدى الذي بلغه التفكيك في هذا الإنتاج؟

والسؤال الثاني الذي يمكن أن يطرح أيضا، ولعله لا تقل أهميته عن الأول هو: ما الأثر الذي تركه التفكيك في مناصي اجتهاد النقاد العرب ومفعولات تعاملهم مع النصوص والآثار؟

ويجب القول، قبل أن تمضي الإجابة في سبيلها سربا أن دراستنا لاستراتيجيات التفكيك عربيا، ذات طابع سبري واستكشافي ليست ذات طابع

إحصائي، والسبب في ذلك يعود إلى غرض منهجي .

فنحن نتطلع إلى الوقوف على الإنتاج النقدي من خلال نموذجه الذهني الذي يشكل الرؤى والمقاربات (والتفكيك يمثل هنا هذا النموذج) أكثر من إنشاء مدونة نحصي فيها كلا لآثار التفكيكية عبر كل سجلاتها وكل تواريخ ظهورها، وإن كنا لم نهمل هذا الجانب إهمالا كليا في المقابل وبهذا يكون ترجمة الدراسة استنباطيا وليس استقرائيا،وتمثيلا وبالنماذج و ليس إحصاء تتراكم فيه الأعداد،وتحقيقا عشريا وليس تزمينا يوميا أو شهريا أو سنويا بالمعنى التطوري التعاقبي كما هو الشأن في الدراسات التاريخية.

وإذا كان هكذا فإن الكم الكثير لا يشكل بالنسبة إلينا تأكيد الحضور التفكيك في الفكر النقدي العربي، كما أن قلة الكم لا تعد تأكيدا لغياب التفكيك في هذا الفكر.

يمكن القول أنه ثمة قراءات عربية تأثرت بالمنهج التفكيكي وطبقته، بل غالت في تطبيقه حتى بلغ بها هذا الغلو إلى تطبيقه على النصوص المقدسة كنصر حامد أبو زيد الذي تعالى على النص القرآني. وراح يقرؤه قراءة جديدة منقطعة عن كل ما هو موروث، اتباعا للمنهج التفكيكي، والمناهج الألسنية التي توافقت معه في مبدأ أن لكل قارئ الحق في إماتة المؤلف، وإعادة كتابة النص من جديد خلوا من أي موروث قرائي سابق...!

ونجد كذلك عبد الكبير الخطيبي الذي ألف كتاب (المغرب أفقا للفكر) داعيا فيه إلى التخلي عن الاستسلام للنظرة السائدة عن أنفسنا وعن الآخرين وخلخلة نظام المعرفة السائدة من حيث أتى...!

أما عبد الله الغذامي فراح يطبق في كتابه (تشريح النص) المنهج التفكيكي بنوع من الحذر، فرأى أن النص إشارة حرة حررها المبدع ليطبقها صوب المتلقي لا ليقيدها بقراءة معجمة موروثة، وإنما يتفاعل معها بفتح أبواب خياله لها لتحدث في نفسه أثرها الجمالي.[1]

III-ترجمة مصطلح التفكيك:

التفكيكية ترجمة شائعة ومعجمية لعبارة "Decoustruction" ولكنها لا تنقل مضمون الكلمة الأجنبية التي قد يكون الأفضل ترجمتها بكلمة " التقويضية" أو "الانزلاقية ".

ولكن كلمة " تفكيكية" هي الأكثر شيوعا وقد تحدث كارل مانهايم عن "Destruction" وهو هدم كل الإيديولوجيات التي تخادع ذاتها بالضرورة وتتصور أنها نقلت من التاريخية النسبية ومن قبضته الصيرورة كما استخدم

(1) مناهج النقد الأدبي: يوسف وغليسي، ص 178،182.

هايدجر نفس الكلمة بنفس المعنى تقريبا، ففي كتابه : " كانط ومشكلة الميتافيزيقيا " تحدث عن الحاجة إلى إعادة النظر في تاريخ الانطولوجيا الغربية بطريقة تهدف إلى كشف موضوع دراستها وتطورها وهو ما يتطلب فك تقاليد الانطولوجيا الجامدة المكتسبة من خلال عملية الهدم ."

أما جيرار جنجومبر فقد شرح القراءة التفكيكية فقال :إنها تستهدف تفجير النص انطلاقا من مبدأ اللاتماسك NonCohérence وجعله يلعب ضد ذاته، ويقول

أيضا بأن دريدا قد اقترح "قراءة النص بما هو إنتاج لمعان غير ثابتة للتجمع

NonTotalisable و وفقا لهذا التصور تصبح العلامة اللغوية موضع تشويش Confusion بين المعنى المجازي والحقيقي فيصبح القارئ عاجزا عن السيطرة عن النص لأن النص لا يسمح له بذلك"[1].

أما جوزيت راي دوبوف فتورد في قاموسها السيميائي فعل التفكيك Déconstruire عند دريدا بمعنى فك أو تقويض Défaire بناء أيدلوجيا موروث.[2]

وقد استخدم جاك دريدا كلمة " هدم " أو " تفويض" في بداية الأمر ولكنه عدل عنه واستخدم بدلا منها كلمة " تفكيك " وهو يذكر في أحد حواراته أنه حين وضع مصطلح Déconstruction كان يفكر في استخدام هيدغر لكلمة "التدمير" أو "الهدم" Destruction وفي استخدام فرويد لكلمة" الفك" أو "الحل " "Dissociation " مثلما فكر في كلمة Abbouالألمانية أي Démontageالفرنسية[3].

ومع ذلك تظهر النزعة التقويضية بشكل صريح في حديثه عن إجهاد اللغة

(1) إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد: يوسف وغليسي ، الدار العربية للعلوم ، ناشرون بيروت ، منشورات الاختلاف الجزائر، ط 1 - 2008 ، ص 340.

(2) المرجع نفسه، ص 344.

(3) المرجع نفسه، ص 344.

الذي سيؤدي إلى موت الكلام وحضارة الكتاب، وقد عرف هو نفسه التفكيكية بأنها "تهاجم الصرح الداخلي سواء الشكلي أو المعنوي، للوحدات الأساسية للتفكير الفلسفي بل تهاجم ظروف الممارسة الخارجية، أي الأشكال التاريخية للنسق التربوي لهذا الصرح والبنيات الاجتماعية الاقتصادية والسياسية لتلك المؤسسة التربوية " وبالتالي فما يهدف إليه هو تقويض وهدم حتى لو سماه " التفكيك". أما في الكتابات النقدية العربية فقد شاع مصطلح التفكيك أو التفكيكية، و هو مصطلح اعتمده كثير من المترجمين والنقاد العرب،نخص بالذكر:كاظم جهاد،عبد الله إبراهيم،عبد العزيز حمودة،فريد الزاهي ومحمد عناني وغيرهم .

يقول محمد عناني ، مبررا اعتماده هذا المصطلح " التفكيكية Déconstruction مصطلح موفق،وإن كان قد أسيء فهمه إساءة بالغة ، ربما بسبب عدم تقديمه في صورته التاريخية التي تعتبر فلسفية أولا ونقدية أو أدبية ثانيا فالتفكيك الذي اشتق منه المصدر الصناعي هو فك الارتباط أو حتى تفكيك الارتباطات المفترضة بين اللغة وكل ما يقع خارجها..."[1]، أما الناقد السعودي سعد البازعي والناقد الجزائري عبد الملك مرتاض فقد اقترحا مصطلح: التقويضية أو التقويض ،فقد كان البازعي سباقا إلى اقتراح مصطلح التقويضية واعتباره أدق من التفكيك رغم استمراره في استعمال مصطلح التفكيك لشيوعه. يقول البازعي :" المفترض هنا أن عبارة " تفكيك" هي المقابل الدقيق لكلمة "Déconstruction " ولكنها ليست كذلك في ما أن الكلمة الأجنبية تعني نقض البناء أو هدمه أي اللابنائية فلعل عبارة " التقويضية " هي الأدق و لكننا سنستمر مع ذلك في استخدام عبارة " تفكيك " لشيوعها على أن يفهم المقصود الاصطلاحي بها ، وسندرك أهمية تحديد التفكيك بأنه النقض حين ندرك أن العبارة إلى " العدمية " بالمفهوم الذي وضعه فريديريك نيتشه".[2]

(1) ينظر المصطلحات الأدبية الحديثة ، دراسة ومعجم انجليزي- عربي : محمد عناني، ص 131.

(2) ينظر ما وراء المنهج: تحيزات النقد الأدبي الغربي في إشكاليه التحيز، رؤية معرفية ودعوة للاجتهاد محورا : مشكلة المصطلح ، الأدب و النقد ، التحيز، رؤية معرفية سعد البازعي المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية ط3 ، 1998، .ص 190.

غير أن البازعي يعود مرة أخرى ، رفقة زميله ميجان الرويلي ليعدل هذا المصطلح بدله التقويض منتقدا كل محاولة لترجمة المصطلح بالتفكيك يقول البازعي وميجان الرويلي: "التقويض هو المصطلح الذي أطلقه الفيلسوف الفرنسي المعاصر جاك دريدا على قراءة النقدية (المزدوجة) التي اتبعها في مهاجمته الفكر الغربي الماورائي منذ بداية هذا الفكر حتى يومنا هذا ، وقد حاول بعضهم نقل هذا المصطلح إلى العربية تحت مسمى " التفكيك" لكن مثل هذه الترجمة لا تقترب من مفهوم دريدا حالها في هذا حال مصطلح التقويض.على أن التقويض أقرب من التفكيك إلى مفهوم دريدا".[1]

أما عبد الملك مرتاض فقد نشر بحثا عام 1999 بعنوان " نظرية التقويض " (مقدمة في المفهمة والتأسيس) تحدث فيه عن إشكالية نقل هذا المصطلح وانتقد ما شاع لدى النقاد الحداثيين من العرب من استعمال " التفكيك" و " التفكيكية " واقترح بدل ذلك مصطلح " التقويض " يقول مرتاض: "ولقد شاع لدى النقاد العرب الحداثيين استعمال مصطلح " التفكيك" و الأشيع من ذلك مصطلح التفكيكية وهو مصطلح من الصعب أن نوافق عليه لأنه لا يستند في الاستعمال إلى أي علاقة دلالية مما يؤدون.. من أجل كل ذلك نقترح استعمال مصطلح " التقويض" مقابلا للمصطلحين الانجليزي والفرنسي Déconstruction عوضا عن مصطلح التفكيك الذي بدأ يشيع بين النقاد العرب لأنه لا يستطيع أن يحتمل ، ولا أحد يستطيع أن يجعله يحتمل دلالة المصطلح الأجنبي من الوجهة المعرفية". [2]

و يبدو أن مرتاض لم يكن قد اطلع على محاولة البازعي التي سبقت محاولته فادعى التفرد باقتراح هذا المصطلح .

---

(1) ينظر دليل الناقد الأدبي:سعد البازعي وميجان الرويلي ، ص 53 .

(2) ينظر نظرية التقويض (مقدمة في المفهمة و التأسيس): عبد الملك مرتاض، مجلة علامات في النقد، النادي الأدبي الثقافي، جدة ، مج 10،ج 34 ، 1999 ، ص 279-280 .

ويقترح عبد الوهاب المسيري ترجمته بـ " الانزلاقية " رغم أنه يستعمل غالبا مصطلح التفكيك،يقول المسيري: " كل هذا يوصلنا إلى الفعل التفكيكي الأكبر (Deconstruet)و قد ترجمها الدكتور سعد البازعي وميجان الرويلي ،في دليل الناقد الأدبي بالتقويضية وكما ترجماها بالانزلاقية".[1]

وإن كان يوسف وغليسي يرى أن الفك والتفكيك لا يتجاوز دلالات الفتح والعتق والإطلاق وفصل الأشياء وتخليص بعضها من بعض،وهي دلالات ليست ذات شأن كبير مقابل ما يعنيه المصطلح الغربي في مفهومه الدريدي ،بخلاف التقويض" الذي يقترب منه أكثر ... وربما كان " النقض" أقرب معنى إلى جوهر

المفهوم الغربي ، لاسيما ما تعلق منه بالمناقضة القولية " النقض " اسم البناء... والمناقضة في القول أن تتكلم بما يتناقض معناه.[2]

ويتفق معه في الرأي محمود الربيعي فيقول : ليست كلمة تفكيكية- كما يتضح من معناها عن دريدا – أنسب كلمة يترجم بها مصطلح Déconstruction ولكن نظرا لتوالي استخدم الكلمة في النقد العربي أحافظ هنا على استخدامها وذلك حتى لا أضيف مزيدا من البلبلة.[3]

وفي هذا المعنى أيضا تفهم نبيلة إبراهيم مفهوم التفكيكية ،حيث ترده إلى أصوله " الثورية " التي تنظر إلى الثقافة الغربية باعتبارها نصا كاملا قد أصبح في حاجة إلى قراءة جديدة " تتجاوز فيها المقولات المألوفة إلى ما هو أعمق بهدف

الكشف عما قد يبدو متناقضا وغير مؤتلف في جسم الثقافة الأوروبية... "[4]

(1) ينظر الحداثة وما بعد الحداثة: عبد الوهاب المسيري و فتحي التريكي، دار الفكر، دمشق ط 1 ، 2003،ص 111.

(2) إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي الجديد: يوسف وغليسي ،ص 351 .

(3) المرجع نفسه، ص 351.

(4) المرجع نفسه، ص352.

أما عبد السلام بن عبد العالي فيرى أن القارئ التفكيكي يحاول الكشف عن اليمين في كل نص يساري .

وعبد العزيز حمودة فيؤكد أن التفكيكية تبحث عن اللبنة القلقة غير المستقرة وتحركها حتى ينهار البنيان من أساسه، فهو التالي من القائلين بإعادة البناء بعد الهدم، كما ذهب إلى ذلك نقاد كثيرون منهم عبد الله الغذامي الذي يعد من النقاد الأوائل الذين ترجموا مفهوم Déconstructionمن اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية، وقد اقترح ترجمته بـ: " التشريحية"، فبعد حيرته – يقول الغذامي- أمام هذا المصطلح،وتردده بين عدة كلمات عربية مثل النقض والفك والتحليلية يثبت أخيرا على مصطلح "التشريحية" يقول الغذامي: " احترت في تعريب هذا المصطلح ولم أر أحدا من العرب تعرض له من قبل (على حد اطلاعي) وفكرت له بكلمات مثل (النقض / الفك) ولكن وجدتهما يحملان دلالات سلبية تسيء إلى الفكرة، ثم فكرت باستخدام كلمة (التحليلية) من مصدر(حل) أي نقض ولكني خشيت أن تلتبس مع (حلل) أي درس بتفصيل واستقر رأيي أخيرا على كلمة (التشريحية أو تشريح النص) والمقصود بهذا الاتجاه هو تفكيك النص من أجل إعادة بنائه وهذه وسيلة تفتح المجال للإبداع القرائي كي يتفاعل مع النص".[1]

ومرة أخرى يسميه عبد الله الغذامي " علم النقد التشريحي " DéconstructionCriticisun وبالإضافة إلى ذلك يدحض وغليسي قول الغذامي بأن لا أحد من العرب عرض لهذا المصطلح قبله، ويؤكد أن سامي محمد قد وضع مصطلح "التفكيكية" مقابلا للمصطلح الأجنبي، في ترجمته لمقالة عنوانها " نقد بعض ملامح المنهج البنيوي في النقد الأدبي" لصاحبها " ليوتيل أيبل "نشرها في مجلة "الأقلام " العراقيةعدد11، سنة1980. ولعله يكون أول من وضع

(1) الخطيئة و التكفير: عبد الله الغذامي ، ص 52.

.

المصطلح العربي الذي استعمل بعد بكثافة تداولية كبيرة لدى الكثير من الباحثين.[1]

هكذا رأينا كيف تعكس صعوبة ترجمة مصطلح Déconstruction إلى اللغة العربية، تلك المشكلة التي يعاني منها هذا المصطلح في مجاله التداولي الأصلي الذي هو اللغة الفرنسية. يقول دريدا في سياق حديثه عن الصعوبات التي تعترض ترجمة هذه الكلمة إلى اللغة العربية لليابانية: " ذلك إذا ما أردنا الوقوف بادئ ذي بدء على صعوبات الترجمة ... فربما وجب ألا نبدأ بالاعتقاد، لأن مفردة " التفكيك "تقابل في الفرنسية دلالة واضحة ولا مصدر فيها للبس، هناك في لغتي من قبل، مشكلة ترجمة شائكة بينما تهدف إليه هنا وهناك عبر هذه الكلمة، واستخدام هذه الكلمة نفسها ومنبعها لقد بات واضحا أن الأشياء تتغير من سياق إلى آخر في الفرنسية نفسها بالذات "[2] فكيف بها إن انتقلت إلى سياق تاريخي وحضاري مغاير، وإلى لغة مختلفة عن اللغة الأصلية التي ولدت فيها؟ إن من الواضح أن الأمر سيصبح أكثر صعوبة وتعقيدا .

(1)إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي الجديد: يوسف وغليسي، ص 52 .

(2) الكتابة و الاختلاق :جاك دريدا، ص 57.

رابعا: نقد التفكيكية:

إن النقد التفكيكي لا يفكك النص ويعيد تركيبه ليبين المعنى الكامن في النص (كما هو الحال مع النقد التقليدي) وإنما يحاول أن يكشف التوترات والتناقضات داخل النص وتعددية المعنى والانفتاح الكامل، بحيث يفقد النص حدوده الثابتة ويصبح جزء من السيرورة ولعب الدوال، ومن ثم تختفي الثنائيات والأصول الثابتة والحقيقة والميتافيزيقيا، وقد أشار كثير من الدارسين إلى أن النقد التفكيكي يتسم بما يلي:

1- النقد التفكيكي نقد ممل لأنه يقول الشيء نفسه عن النصوص كافة ونتيجة معروفة مسبقا .

2- لم يأت التفكيك بأي عنصر جديد، فكل العناصر موجودة في النقد التقليدي ولكنها مبالغ فيها ويتم تناولها بشكل لا تسمح به حدود النص .

3 ـ النقد التفكيكي نقد واحدي، فكل العناصر سيتم تفكيكها، وإن بقي عنصر سيأتي ناقد آخر ليكمل عملية التفكيك إلى أن ينتهي التفكيك بواحدية سائلة محضة .

4- النقد التفكيكي نقد ثوري فيما يتعلق بتحليل خطاب الآخر، ولكنه رجعي في كل شيء آخر، فهو لا يمكن أن يطرح بدائل .

5 ـ التفكيكية ليس لها ما يقابلها من مصطلحات مستقرة في اللغة العربية .

6- إن المشروع التفكيكي برغم الادعاءات المتكررة بالتمرد والثورة على كل شيء لم ينشأ من فراغ، ولم يكن شأنه شأن أي مشروع آخر عبر تاريخ النقد الأدبي الطويل، لينشأ من فراغ وفي نفس الوقت فإن الارتباط الوثيق بين المزاج الثقافي الذي أفرز التفكيك وتولاه بالرعاية حتى أحاطه بتلك الهالة البراقة لبضع سنوات، أدى في النهاية إلى فشل التفكيك وانسحابه السريع من الساحة الأدبية.

7- إن المنهج البنيوي فشل في تقديم مشروع يحقق للدراسة الأدبية الناحية العلمية وهو ما حدث مع نقاد التفكيكية إذ أنهم لم يشككوا في قدرة النموذج اللغوي الذي اقترحه البنيويون من قبل لأنه لا ينطبق على كافة الإبداعات الأدبية بنفس الكفاءة لكنهم شككوا في قيمة وقدرة المنهج التجريبي في تحقيق القراءة المطلوبة لتحليل النصوص مما جعلهم يرتدوا إلى القرن الثامن عشر وسيادة الرومانسية التي لا تضع للأدب أو النقد أية معايير أو قيود .

8- يرى عبد الوهاب الميسري أن الأفكار الرئيسية في نظرية دريدا أصولها يهودية ففي مداخل: الأثر، تناثر المعنى، الهوة، الكتابة الكبرى والأصلية، التمركز حول المنطوق، من موسوعته يورد تأصيلا فكريا تاريخيا لهذا الأثر الواضح ليهودية دريدا وللفكر اليهودي في نظريته النقدية .

9- نقل الدكتور عبد العزيز حمودة في "المرايا المحدبة" نماذج عديدة من النقد الذي وجه للتفكيكية / التقويضية في الغرب، فمثلا ليتش يقول في تمهيده لدراسته عن التفكيكية إنها باعتبارها صيغة لنظرية النص والتحليل تخرب كل شيء في التقاليد تقريبا وتشكك في الأفكار الموروثة عن العلاقة واللغة والنص والسياق والمؤلف والقارئ ودور التاريخ وعملية التفسير وأشكال الكتابة النقدية وفي هذا المشروع فإن الواقع ينهار ليخرج شيء فضيع.[1]

10- أما جون إليس - وهو أحد أشهر منتقدي التفكيكية بالإضافة إلى هوارد فلبيرث و هارول بلوم - فيقول كما سبق وأشرنا إليه غير بعيد؛ أنه هناك وسيلة يلجأ إليها التفكيك للحفاظ على صلاحيته: تتم صياغة الموضوعات في مصطلح جديد وغريب وهو ما يحمل المواقف المألوفة تبدو غير مألوفة ومن ثم تبدو الدراسات المتصلة غيرمتصلة.[2]

---

(1) المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك: د. عبد العزيز حمودة ، سلسلة عالم المعرفة،رقم 232 ،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.الكويت ، 1980 ،ص 291 – 292

(2)المرجع نفسه: ص 296.

11 ـ لم تلاق التفكيكية قبولا في النقد الغربي، وسرعان ما انطفأت شعلتها وكذا في النقد العربي الذي جوبهت فيه بالرفض والتقريع كما في كتابات الدكتور عبد العزيز حمودة، لما فيها من تعد عن المفاهيم والموروثات، ولما فيها من سلب لحق المؤلف في مدلوله الذي تتلاعب التفكيكية به، بتوسيع دائرة كتابته من جديد في لا نهائية مطردة من القراءة والتفسير .

12 ـ سقطت التفكيكية في تناقض كبير مع نادت به حين حاولت القضاء على كل سلطة ويقين ادعته النظريات السابقة والفكر السابق وبممارستها لفعل التشكيك في كل أمر تكون قد وقعت فيما أرادت تحطيمه حينما ادعت امتلاكها لسلطة الإلغاء والرفض لباقي النظريات .

13 ـ يرى نبيل راغب أنه رغم فاعلية التقويض، إلا أنه في نهايته محير، فدريدا لم يقدم بديلا عن مسلمات الميتافيزيقيا الغربية بعد أن قوضها، بل إن البديل نفسه سيتسم بسمات الميتافيزيقيا لا محالة، ولذلك اكتفى دريدا بممارسة التقويض فقط .

ويضيف كذلك أن دريدا في نقده للميتافيزيقيا الغربية يرى أنها تتسم بالطلاسم الما ورائية، هو نفسه يرسى دعائم طلاسم ما ورائية لا هوتية مألوفة، وذلك بافتعاله لتأويلات مختلفة.

14 ـ يرى عبد الوهاب الميسري أن أسلوب دريدا يتسم بالغموض ويبرر ذلك بقوله: إنه من خلال فلسفته يبذل أقصى جهده ليحطم حدود الكلمات والجمل والمعاني ليفرض عليها معاني جديدة ويحبذ الانزلاق بين الدوال ويجيد اللعب بها، مما يجعل قارئه كمن يسير على سطح أملس فيركز على الاحتفاظ بتوازنه حتى لا يسقط،بدلا أن يكشف التناقضات ويلحظ سطحية الأفكار التي تخفيها الألعاب اللغوية

15 ـ أما في فرنسا فقد انتقده الفيلسوف الفرنسي جاك بوفرس وفي ألمانيا الفيلسوف يورين ها برماس انتقادا عنيفا غير أن النقد اللاذع اضطلع به الفلاسفة

التحليليون الإنجليز و الأمريكان، ويرى معظم هؤلاء الفلاسفة في عمل دريدا ارتدادا ضارا طائشا ويرثى له نحو نزعة غير عقلية .

ثمة اتجاهان أساسيان في النقد الموجه لفلسفة دريدا، الاتجاه الأول يرى أصحابه أن مبادئ دريدا تنطوي على نوع من قياس الخلف* المفضي إلى إثارة الشكوك في النزعة الواقعية ويعتبرون دريدا لغويا مثاليا فشعاره الذي يقتبس عنه كثيرا - وهو: " ما من شيء خارج النص " لا يدعمه شيء سوى حجج قديمة وباطلة قال بها من قبل باركلي وكانط[1] .

أما الاتجاه الثاني فهو معتدل إلى حد ما، ووفقا له فإن دريدا ينطلق من موقف فلسفي يشدد بقوة على خصيصة الاكتفاء الذاتي في اللغة ويؤمن بأن إدراكنا بكامله شأن لغوي ويتبرأ كلية مما يطلق عليه ديفيد سون ثنائية الهيكل والمحتوى[2] .

16 - يرى بعض المعرضين للتفكيكية بأنها تمثل جانبا مخيفا من جوانب فوضى النقد المعاصر، وأنها تشبه كرنفال تخضع الحياة لقوانينها فقط ولا حياة خارج الكرنفال .

* قياس الخلف هو ضرب من ضروب القياس قوامه البرهنة على صحة المطلوب بإبطال نقيضه والعكس صحيح أي البرهنة على فساد المطلوب بإثبات نقيضه .

(1) البنيوية والتفكيك: مداخل نقدية : تر : حسام نايل ، ص 187 .

(2) المرجع نفسه: ص 189.

الفصل الثالث

نظرة دريدا للكتابة من خلال مؤلفه " الكتابة و الاختلاف"

1- ترجمة جاك دريدا.

2- المعطيات النقدية لمشروع دريدا التفكيكي.

3- كتاب "الكتابة و الاختلاف".

4- أهمية الكتابة عند دريدا.

أولا: ترجمة جاك دريدا:

I-1- تعريف جاك دريدا: Jacque Darrida

هو فيلسوف فرنسي معاصر ولد في الأبيار في الجزائر العاصمة في 15 جويلية 1930.[1] وعاش فيها حتى أتم دراسته الثانوية عام 1949وصدرأولدراسته الفلسفية عام 1954 بعنوان " مشكلة النشأة في فلسفة هوسرل ثم انتقل بعدها للتدريس في مدرسة المعلمين العليا وأصدر ترجمة لكتابه ورسل أصل الهندسة سنة 1963 ثم انطلقت شهرته في عام1949 الذي أصدر ثلاثة كتب أساسية[2] شكلت معالم مضيئة في مسار المشروع التفكيكي هي:

- الكتابة والاختلاف: L'écriture et la différancé
- الصوت والظاهرة: La voix et le phénoméne
- في علم الكتابة: La grammatologie

ثم أردفها عام1972 بكتب لاحقة من نوع : التشتيت La déssémination مواقف Nosition ، هوامش الفلسفة Marges de La Philosophice وكتب أخرى أسهمت في تعميق هذا المشروع الفكري النقدي.[3]

وفي عام 1975 عمل أستاذا في الولايات المتحدة وبداية تأسيس المعهد الدولي للفلسفة بباريس.

ومن أهم كتاباته: التشتيت 1972، أجراس 1974، عن الروح، هيدجر والسؤال 1987، عن الحق في الفلسفة 1990، أطباق ماركس 1993، سياسات الصداقة 1994.[4]

---

(1) مناهج النقد الأدبي: د: يوسف و غليسي، ص 176.
(2) في علم الكتابة : جاك دريدا، ترجمة وتقديم، أنور معيث ومنى طلبة، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ط 2، 2008 ،ص 588.
(3)مناهج النقد العربي: د:يوسف وغليسي، مرجع سابق، ص 177.
(4) في علم الكتابة: جاك دريدا، ص 588.

و يوصف جاك دريدا بأنه مفكر صعب Penseur Difficile ويصف نفسه بهذه اللغة القلقة قائلا : " أنا يهودي جزائري، يهودي لا، يهودي بالطبع، ولكن هذا

كاف لتفسير العسر الذي أتحسسه داخل الثقافةالفرنسية *لستمنسجما* إذا جاز التعبير، أنا إفريقي شمالي بقدر ما أنا فرنسي.[1]

هو ذاك جاك دريدا الشخصية القلقة المشتتة (جزائري المولد، فرنسي الجنسية، يهودي الديانة، أمريكي المقام في زمن ماضي).

إنه شخصية مفككة يصدرعنها فكر تفكيكي! يطبعه الإبهام والتناقض الظاهري والانسجام والتشكيك والثروة النقدية واللغة المراوغة .... لذلك لم يكن غريبا أن يلجأ في طفولته إلى الكتابة الشعرية بحثا عن لغة خاصة تترجم نفسيته المفككة وقلقه الفكري المبكر.

أما عن اسم دريدا فقد حاول كاظم جهاد جاهدا في أن يجد له وجها مقابلا عند العرب فآثر أن يترجمه على "دريدة" بدل دريدا يشير إلى الاسم العربي الشائع، قديما بخاصة "دريد" ومن حامليه الشاعر الجاهلي دريد بن الصمت واللغوي الشهير ابن دريد.[2]

وغادر جاك دريدا المشهد الفكري العالمي في 2004/10/09 بباريس متأثرا بسرطان البنكرياس، وقد كان مرشحا بقوة لنيل شهادة جائزة نوبل في الآداب، لكنه مات بعد ساعات قليلة من إعلان النتائج المخيبة التي اختارت كاتبة نمساوية مغمورة ! تاركا وراءه إنتاجا فلسفيا ونقديا يفيض ثراء[3].

---

(1) الكتابة و الاختلاف: جاك دريدا ، ص 56.

(2) المصدر نفسه، ص 07.

(3) مناهج النقد الأدبي: يوسف وغليسي، المرجع السابق، ص 173.

I-2- أقوال في جاك دريدا:

لقد امتازت كتابة دريدا بالتفرد والتميز والاختلاف، وقد حظيت فلسفته باستحقاق الدراسة والبحث وإن الطموح إلى قراءة تفكيكية دريدا وتشخيص فلسفته يسفر عن كد وجهد لاختراق الكثافة لنصه الفلسفي، فأفكاره متفردة بطبعها، وكتابته متمردة بانزياحاتها متميزة بألغازها ـ محيرة في طروحاتها واختلافاتها .

نص دريدا أرضية تحتشد فوقها الأضداد و تتواطؤ فيها النقائض والمقلوبات، فتتحول تلك الأرضية إلى حلبة للعبة الدوال وصراع التأويلات فاحتراز القارئ من نص دريدا أمر محتم، وامتلاك العدة واجب قبل الشروع في مغامرة القراءة، لا يعني هذا أن التفكيك شر يستطار منه خيفة، لكن قراءة دريدا ليست سهلة وهو نفسه يحذر من تستطيع الأمور واختزال العبور، بل وجب التجند بآليات و التحنك باستراتيجيات يسهل الولوج في مسالك النص الدريدي، ويجتنب الوقوع في مهالك الغي والأباطيل والتأويلات الفاسدة لنص فلسفي مميز .

وما جعل نصوصه مميزة هو تطرقه إلى مباحث لم يتم التفكير فيها ؛ منها المقولة الشبحية وبواسطة هذه المقولة المخيالية يتعرض دريدا للإرث الفلسفي الغربي مزعزعا أوهام فلسفة الحضور للكشف عن تواطؤ الأضداد داخل نسيج الواقع المتماسك، وكاشفا عن لعبة الدوال داخل النص المتناسق الذي يحتجب خلفها كل مسكوت ومكبوت، يطارد دريدا بآليات التفكيك أطياف الذات وأشباح الأنا ليلتمس أشباه الحقائق، ويبدد أوهام المثاليات وينسف البداهات والمتعاليات[1].

النص الدريدي عرف إجمالا بعسره الذي حدده كريستوف جونسون، من خلال حديثه عن كتابة دريدا وأنها صعبة وذلك لعدة أسباب:

أولها : صعوبة المفاهيم والحجج ذاتها وهي صعوبة تتعلق بوضع دريدا ضمن تراث فلسفي متواصل لا يلم القارئ غير الفرنسي به دائما، وثانيها: أن فلسفة دريدا ليست فلسفة نسقية بمعنى أنه لا يقدم للقارئ نسقا فلسفيا منتهيا كل مصطلح فيه محدد ومعين منذ مبادئه الأولى وحتى النظرية النهائية .

(1)جاك دريدا: محمد شوقي زين ، ص 123 – 124 .

ومشكلة مثل هذا التناول هي أن القارئ يحتاج أحيانا إلى معرفة كل المفكرين الذين يتحدث عنهم دريدا قبل الشروع في متابعة حجج دريدا على نحو متماسك، وترجع الصعوبة الثالثة والأخيرة إلى الأسلوب الحالي لكتاب دريدا ذاتها، فمن الكتابة المبهمة المراوغة إلى ما يمكن أن نطلق عليه الكتابة المنبسطة ويبدو أن أسلوب دريدا بلاغي بصور مفرطة.

وبالنسبة للقارئ الإنجليزي يرجع هذا الأمر جزئيا إلى اختلافات مهمة بين اللغة الإنجليزية والفرنسية ويزيد الأمر تعقيدا نزوع دريدا إلى صيغ المفارقة والكلمات المستحدثة وسبل متنوعة من اللعب بالكلمات ـ ومن ثم فليس من المدهش أن يؤدي كل ذلك إلى صعوبات جمة بالنسبة لمترجمي أعمال دريدا [1].

وبالنسبة للجملة الدريدية، فهي غالبا ما تطول لعدة أسطر أو لصفحة كاملة يفصلها عن فاعلها وعن مفعولها كثرة من العبارات المركبة، حتى لقد يروغ منا وفاعل الفعل في غمرة المعترضات المتتالية تارة وتفلت منا فكرة الجملة الرئيسية الضامة للفقرة تارة أخرى .

ولا شك أن مثل هذا النهج الوعر في الكتابة ليس قاصرا على دريدا، وإنما ينسحب على معظم المؤلفات الغربية المعاصرة، فنجده مثلا عند ريكو وبورديو وديلوز وغيرهم، وقد نجد شبيها له مع التفاوت في الكتابة العربية لدى القدماء من أمثال أبي العلاء المعري والجاحظ والتوحيدي ... تعانق لغة الجملة لديهم جميعا ترامي الأفكار وتداعيها و تراكبها.

وما يجب لفت الانتباه إليه هو مفردات دريدا العادية والاصطلاحية وما تحمله من معان متعددة في آن واحد حتى وإن اقتصرت الترجمة على واحد منها لدواعي قابلية القراءة وقد يعتمد حضور معانيها المتغايرة والمتضادة في سياق الجملة الواحدة، فعلى سبيل المثال كلمة Articulation تعني " النطق " كما تعني

(1)في علم الكتابة: جاك دريدا، تقديم وترجمة أنور مغيث ومنى طلبه ، ص 15 .

" التمفصل " أو " الارتباط " وكان على المترجم أن يرجح معنى على آخر حسب السياق .

وما يميز هذه الكتابة المبدعة أيضا الكلمات التي يكتبها دريدا على نحو مقطعي مثل: Aura – it –naissance-her- monie ... إلخ. فإذا كانت مثل هذه الكتابة المقطعية دالة بالنسبة للقارئ الفرنسي فمقابلها العربي لن يعني شيئا إذ أن فصل البادئة عن المصدر مثلا في re-naissance تعني تكرار الميلاد والكلمة مجملة تعني البعث.

وكذلك دريدا مولع بالمصطلحات المركبة auto - theologie و-archi écriture وغيرها وكلها تدل على أنه قارئ قد يطوف بنا في قراءاته التفكيكية الشديدة التفصيل والتدقيق والاتساع والشطح أحيانا ميادين معرفية شتى: فقه اللغة والنحو والبلاغة و الأثنولوجيا والموسيقى والرسم والسياسة وعلم الاجتماع وعلم النفس ... إلخ. مستدعيا من هذه الحقول أعلامها ومقولاتها ومصطلحاتها ومراجعها التي يموج بها متن كتاباته وتعظم معها هوامشه التوضيحية.

ودريدا في نصوصه نجده يستسقي كثيرا من مصطلحاته من النصوص التي أخضعها للتفكيك، مثل مصطلح " المكمل " supplément الذي أخذه من نص روسو و dèssèmination من مالارميه و pharmakon من أفلاطون ... و غيرهم... ليشبعها بمعان جديدة مضادة أو جامعة للمتضادات على غير معناها في النصوص الأصلية التي وردت فيها.[1]

يعد دريدا أيضا مفكرا يتميز بعمق فكري واضح مما دفعه لمناهضة البنيوية وهو عداء من نوع خاص فحواه منهج وبرنامج مغاير إذ يتفاعل مع تقاليد شديدة الاختلاف وينشغل انشغالا أساسيا بموضوعات مختلفة تماما[1] .

(1)في علم الكتابة : جاك دريدا ، تقديم وترجمة أنور مغيث ومنى طلبه، ص 11 - 14.

(1) البنيوية والتفكيك : مداخل نقدية ، مجموعة من الكتاب ، تر : حسام نايل ، ص 177 .

لقد وضع دريدا ـ وبذكاء شديد ـ عقبات عديدة ومتنوعة أمام أية محاولة لتعريف التفكيك، في حين أنه يبدو أكثر تسامحا مع ما يسمى " بالتفكيك الأمريكي " الذي تصاعدت موجته في سياق ثقافي نوعي خاص وهو سياق يتضمن الأدب الأمريكي كما يتضمن التاريخ وتنويعات التجربة الدينية الأمريكية.

ولا شك أن دريدا وعبر تدويرات لغوية معقدة وأساليب تعود بنا إلى تقنيات التفكيك الكتابية التي مارسها في طقوسها القصوى في كتاباته الأولى، استطاع أن يتخلص من مجمل الأسئلة المقلقة التي فتح صندوقها هو بذاته وأهمها على الإطلاق تلك المتعلقة بمسألة انتمائه الهوياتي المتأرجح بين أرض اسمها الجزائر، ودولة اسمها فرنسا، وطائفة اسمها الطائفة اليهودية، بمعنى آخر هل الانتماء الحقيقي يكون للأرض أم للدولة أم للديانة أم أنه لا هذا ولا ذاك لأن الانتماء الحقيقي والأصيل يكون للغة التي نتحدث بها ونبدع بها وفيها. وفي هذا يقول دريدا في مقولة أساسية هي بمثابة مسلمة بالنسبة إليه و منطوقها " نعم أنا لا أمتلك إلا لغة واحدة ومع ذلك فهي ليست لغتي "[2].

وأخيرا فجاك دريدا يحتل مكانة أساسية ضمن جيل الفلاسفة الفرنسيين التاليين لسارتر وميرلوو بونتي والذين تتوالى أعمالهم في الصدور منذ أواخر الخمسينات وما تزال.يمثل دريدا حالة ثقافية شربت الفلسفة الغربية من أفلاطون حتى العصور الحديثة.

ثانيا: المعطيات النقدية لمشروع دريدا التفكيكي :

في كل قراءاته يقوم دريدا بسك مصطلحات يشتقها مما هو قيد الدراسة و يطلق عليها " البنية التحتية"[1] و لا يتأتى فهم النظرية إلا من خلال متابعة هذه المصطلحات و الكيفية التي تعمل بها داخل النص المدروس، و جميعها تستعصي

(2) جاك دريدا: أحادية الآخر اللغوية، ترجمة وتقديم : د.عمر مهيبل، ص 10،11.

على الوجود إلا نتيجة تفاعلها داخل نصها، أهم هذه المصطلحات كما صاغها دريدا :

1- الاختلاف : Difference

2- نقد التمركز : Critique of centricity

3- نظرية اللعب:Theory of play

4- علم الكتابة :Grammatology

5- الحضور و الغياب: Presence and Absence

تحيل هذه العناصر مجتمعة إلى نتيجة مفادها : أن كل شيء مؤقت في المشروع التفكيكي، لأن جميع التراكيب و المعنى هي في حالة مستمر لانهائية،و قد تأتى ذلك من انحطاط النموذج الإنساني أمام النص، و إنكار التقاليد الإبداعية لولادة النتاج البشري و عدم الثقة بالحقيقة المطلقة...إلخ، إن تلمس الحقيقة في التحليلات في المشروع التفكيكي هو محال، و هناك تفسيرات للنصوص لكنها لا تستند إلى حقائق نهائية، و دور التحليل في هذا المشروع هو تحريك تفسيرات متعددة في قراءة نص معين، و وفقا لذلك لا تمثل اللغة انعكاسا طبيعيا للعالم، لأن بنية النص هي التي تنظم ترجمتنا الفورية للعالم و هي التي تخلق مجموعة تجاذبات تسهم في فهم الحقيقة التي تتصف في المشروع التفكيكي بأنها نسبية.

(1) دليل الناقد الأدبي : سعد البازعي و ميجان الرويلي، ص 54.

و يرى دريدا أن تاريخ الفكر الغربي يستند إلى مجموعة ثنائيات متعارضة (الرجل-المرأة، الخير-الشر، العقل-الجنون، الخطاب-الكتابة...) و يشكل الطرف الثاني نقدا و جانبا سلبيا للطرف الأول، و لا يستثني دريدا أي نص من احتواءه

على ميراث تلك الثنائيات المتعارضة، و تسهم الثنائيات بإطالة أمد بلوغ المرحلة النهائية للترجمة الفورية للنص، بهدف كسب المعنى.

I-1-الاختلاف:

تعددت ترجمات هذا المفهوم و اختلفت من باحث إلى آخر؛ فقد تفطن كاظم جهاد، مترجم مجموعة من نصوص دريدا تحت عنوان "الكتابة و الاختلاف"، إلى صعوبة ترجمة هذا المفهوم و لذلك اقترح ترجمته بالاختلاف، و كتابتها هذا الشكل:" الاخ(ت)لاف"، (بوضع التاء بين قوسين)، على أن يكون هذا الإجراء مؤقتا في انتظار أن يتمكن هو أو غيره من المترجمين اقتراح بديل له أكثر دقة و نجاعة.

يقول جهاد: " ...و هذا ما دعانا إلى التدخل في كتابة المقابل العربي نفسه (على نحو مؤقت)، فكتبنا:« الاخ(ت)لاف» داعمين القارئ إلى أن يتعرف داخل الكلمة« الاختلاف» نفسها، و بعد وضع حرف «التاء» بين قوسين، على فعل « الاخلاف»: اخلاف الهوية موعدها مع ذاتها و إحالتها إلى « الآخر» باستمرار"[1].

أما عز الدين الخطابي و إدريس كثير فقد اقترحا كتابة الاختلاف على هذا الشكل: "الاختل(ا)ف" (بوضع بين قوسين)، وأكدا على الطابع التقني لهذه المسألة و ذلك لتعدد معاني هذا المفهوم.

---

(1) الكتابة و الاختلاف: جاك دريدا، تر: كاظم جهاد، ص 31.

أما عبد الوهاب المسيري فيترجمها بـ" الاخترجلاف"، فقد عمد إلى كلمة (la difference) في اللغة الفرنسية التي نحتها دريدا من كلمتي"differer" بمعنى "أرجأ" و " أجل" و "differencela " بمعنى" التباين" و " الاختلاف".[1]

و يترجمها عبد العزيز بن عرفة بـ" الاختلاف المرجأ" (بتضعيف حرف الجيم)[2]. و هدى شكري عياد بـ:" الاختلاف المرجأ" (دون تضعيف حرف الجيم)[3]. ويترجمها فريد الزاهي بـ" المغايرة". و أنور مغيث و منى طلبة بـ " الإرجاء"[4] ،و فتحي انقزو بـ " الإخلاف"[5].

و يقترح عبد السلام عبد العالي كلمة " مباينة " و يبرر هذا الاقتراح بكون مادة هذه الكلمة (ب،ي،ن) تدل في لسان العرب لابن منظـــور على الاختـــلاف و التمايز، كما تدل أيضا على معاني البون و الابتعاد و المسافة.[6]

غير أن هذه الكلمة، و إن كانت جامعة لهذه المعاني فإنها ليست مانعة لدخول معاني أخرى تصل إلى حد التعارض مع بعض هذه المعاني بحيث تدل على معنى آخر مضاد لمعنى الفصل و الابتعاد، و هو معنى "الوصل"، إضافة إلى معاني الظهور و الوضوح و الفصاحة. وقد تنبه ابن منظور إلى احتواء كلمة (بين) على هاتين الدلالتين المتضادتين حيث يقول: البين له معنيان متضادان هما: البين و يكون للفرقة و البين و يكون للوصل.[7]

---

(1) اليهودية و ما بعد الحداثة: رؤية معرفية،إسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ماليزيا، س: 3، ع: 10، 1997، ص 113.

(2) الدال و الاستبدال:عبد العزيز بن عرفة، المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء، بيروت، 1993، ص 9.

(3) فصول: (مجلة النقد الأدبي)، مج 6،ع 3، 1986.

(4) في علم الكتابة: المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط 1، 2005.

(5) مدخل إلى العلامة في فينو مينو لوجيا هوسرل:المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء، بيروت،ط 1، 2005.

(6) أسس الفكر الفلسفي المعاصر، مجاوزة الميتافيزيقيا،دار توبقال للنشر،الدار البيضاء، ط 2،2000، ص 78.

(7) ينظر: لسان العرب:جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور، مادة (بين) ، ص 78 .

إن هذا المفهوم مثل غيره من مفاهيم دريدا غير محدد و لا واضح المعالم حتى تسهل ترجمته، فهو لا يشكل، بحسب دريدا مفهوما. كما أنه ليس كلمة و لا فكرة- حسب معنى كلام دريدا- و هو أيضا ليس ثابتا أو متطورا، و ليس بنائيا أو تاريخيا. و ليس كائنا حاضرا مهما جعلناه فريدا و رئيسيا و متعاليا، فهو لا يسيطر، و لا يتحكم و لا يمارس أي سلطة في أي مكان. و هو بعد كل هذا:" ذلك العنصر الذي لا يمكن إدراكه"، أنه ببساطة، لا شيء، رغم أنه أساس كل شيء!

لا يشكل الاختلاف(difference) كلمة و لا مفهوما لأنه لا وجود له – بهذا الشكل- في قاموس اللغة الفرنسية، بل هي كلمة جديدة اصطنعها دريدا، و يكتبها بحرف(a) عوض حرف (e) (difference) الذي تكتب به في اللغة الفرنسية. و يحتل حرف"a" مساحة كبيرة أثناء كل حديث عن الكلمة، و يكثر التساؤل حول دلالته و أبعاده.

و يكتب دريدا الاختلاف بحرف(a) عوض(e) لأنه لاحظ أولا، أن الحرف "a" يكتب و يقرأ، و لكن لا يمكن سماعه، مما يعني أن الكتابة هي الوسيلة الوحيدة التي من خلالها يمكننا مقاربة هذه الكلمة، لأن الاختلاف بين الحرفين مما يتعذر على السمع إدراكه، فهو إذا اختلاف خطي محض.

و يلاحظ دريدا ثانيا، أن كلمة الاختلاف بحرف "e" difference ذات معنى واحد فهي تدل على الاختلاف بمعنى التمايز و عدم التطابق، و تفتقر إلى معاني الإرجاء و التأجيل و الإحالة، إنها ذات بعد مكاني فقط، في حين تعمل كلمة difference- التي تحيل إلى الفعل differer و الذي قياسا عليه ابتكر هذا الاسم – بمعنيين اثنين:

فهي: أولا، تدل على الاختلاف بمعنى المغايرة و عدم المطابقة، و تدل ثانيا على الإرجاء و التأجيل و التأخير... للاختلاف difference إذا معنى مزدوج،

فهو أولا:

1- فعل يراد به التأجيل إلى ما بعد، و أخذ الزمن و القوى بعين الاعتبار في عملية تتضمن حسابا اقتصاديا، دورة، مهلة، تأخيرا، احتياطا، و كلها مفاهيم يمكن أن نلخصها في كلمة التأجيل Temporisation.

2- المعنى الآخر لـ differer (باين) هو الأكثر شيوعا و الأقل قبولا للتحقق ألا يكون مطابقا... ألا يكون آخر... غيرية من التباين أو من النفور و السجال... من اللازم أن يحدث بين العناصر الأخرى، و بشكل صريح و ديناميكي، فاصل، مسافة، فسحة .Espacement [1]

و يكشف عن دلالات مصطلح (الاختلاف) الصياغات المستقبلية ـ فضلا عن الآنية ـ للطرح التفكيكي، و ذلك لتشعب الارتباطات الفكرية و المعرفية مع هذا المصطلح، إذ يشكل ـ كما يرى البحث – البؤرة الأساس التي تنطلق منها مقاربات الطرح النقدي لجدلية الحضور و الغياب، و مفهوم الانتشار(Dissemination) و الأثر (Trace)

و اللعب الدلالي و المتاهة (Aporia) و حركة الدال و المدلول، و تغييب الدليل...الخ. و يشير دريدا إلى أن الصفة المشتقة من فعل خالف/اختلف ولدت مصطلح (difference) الذي يجمع صفا من المفاهيم النسقية، و غير القابلة للاختزال، يتدخل كل منها في لحظة حاسمة من العمل الإبداعي، و تلك المفاهيم يجمعها عنصر المغايرة، الذي يعده دريدا الجذر المشترك لكل المتعارضات المفاهيمية التي تسهم في شرح اللغة و اختراق نظامها . و هكذا يكون لمفهوم الاختلاف (difference)بعدان متضادان: مكاني، و ترتبط به معاني المغايرة و التمايز، و زماني و ترتبط به معنويا للإرجاء و التأجيل.. و هي مفاهيم تتعارض فيما بينها تعارض الآن

---

[1] انظر :"مدخل إلى فلسفة جاك دريدا، تفكيك الميتافيزيقا واستحضار الأثر" ، ترجمتهما لكتاب - سارة كوفمان - وروجي لابورت ، أفريقيا الشرق، المغرب، ط1، 1991،ص 37-38.

و البعد، الحاضر و المستقبل، الإيجاب و السلب، الذات و الآخر... بل و تصل إلى حد التناقض الصريح، و هو ما يجعل الكلمة مسرحا لحرب داخلية [1]. إن المعطيات السابقة تقود إلى أن يغدو كل معنى مؤجلا بشكل لانهائي و كل دال يقود إلى غيره في النظام الدلالي اللغوي، دون التمكن من الوقوف النهائي على معنى محدد، و تغدو عملية التوالد للمعاني مستمرة انطلاقا من اختلافاتها المتواصلة، التي تبقى مؤجلة ضمن نظام الاختلاف، و تظل محكومة بحركة حرة لا تعرف الثبات، و كل هذا يشحن الدوال ببدائل لانهائية من المدلولات، و هذا يكشف أن هناك بناءا و هدما متواصلين من أجل بلوغ عتبة المعنى. و يستمد الاختلاف تموضعه في المشروع النقدي التفكيكي من خلال سمتين:

1- إنه يقوم على اختلاف الدوال، و ينتج عنه اختلاف المدلول، و تقديم لغة الكتابة على لغة الحديث، أو تقديم المكتوب على المنطوق.

2- يتخذ الاختلاف - عادة – شكل الثنائيات المتقابلة أو المتضادة:

(الخير- الشر، الطبيعة- الحضارة،...الخ) و العلاقة بين الدال و المدلول في هذه الثنائيات المتضادة تقليدية و ليست منطقية، و تختلف باختلاف السياق الواردة فيه، و يترتب على ذلك أن المعنى الأدبي لا يمكن أن يكون واحد أو محدد أو واضحا، حيث تعرض لنوع من التخالف لا التوافق، و التفكيك لا التجميع.

يصل دريدا بالاختلاف بين الدال و المدلول و الانفصال بين عالميهما إلى أقصى نقطة ممكنة من هنا خطورة مقولة الاختلاف في المنظور التفكيكي كونها تسمح بقيام اللعب الحر و اللامتناه للدوال، و كونها أيضا تعمل على تبديل فكرة الحضور التي تحكم كل محاولة للبحث عن معنى محدد و مدلول نهائي، و هو ما

---

[1] المرجع السابق : ص 41 .

يعني أنه لا وجود لمعنى يكون نهائيا و حاضرا، بل إن كل معنى هو مختلف و غائب و مؤجل باستمرار، و ذلك لغياب مرجعي خارجي ثابت و نهائي يمكن الإحالة إليه، يوقف عملية اللعبة، و يكون ضامنا للحقيقة و الدلالة، يقول دريدا:" ...إذا كانت القراءة لا تكتفي بأن تعيد النص و تكرره، فإنها لا تستطيع بصورة مشروعة أن تتعد النص إلى شيء آخر مختلف عنه إلى مرجع (واقع ميتافيزيقي، تاريخي...) أو إلى مدلول خارج نص يحدث مضمونه، أو يمكن لمضمونه أن يحدث خارج اللغة أي بالمعنى الذي تعطيه هنا لهذه الكلمة، خارج الكتابة بوجه عام؛ و لهذا السبب فالاعتبارات المنهجية التي نجازف بها هنا من خلال أحد الأمثلة تعتمد بشكل وثيق على قضايا عامة قد بلورناها فيما سبق، و تتعلق بغياب المرجع أو المدلول المتعالي، لا يوجد ما هو خارج النص.[1]

من ذلك كله نستخلص أن الاختلاف يشير إلى السماح بتعدد التفسيرات انطلاقا من وصف المعنى بالاستفاضة، و عدم الخضوع لحالة مستمرة، و يبين (الاختلاف) منزلة النصية (Textaulity) في إمكانيتها تزويد القارئ بسيل من الاحتمالات، و هذا الأمر يدفع القارئ إلى العيش داخل النص، و القيام بجولات مستمرة لتصيد موضوعية المعنى الغائبة.

---

(1) في علم الكتابة: جاك دريدا، ص 307.

I-2- نقد التمركز:

من بين التحولات التي قام عليها التفكيك، ما اصطلح عليه جاك دريد" logocentrism " أي التمركز حول العقل، أو ميتافيزيقيا الحضور و"logos " لفظة يونانية تعني الكلام أو المنطق،أو العقل وبهذا فإن حقلها الدلالي متشعب...ودلالة المصطلح تتشظى إلى حضور وتمركز الكلام،أو العقل، أو المنطق [1].

والتمركز حول العقل أو ميتافيزيقيا الحضور في أبسط تعريفاتها تعني:" القول بوجود سلطة أو مركز خارجي يعطي الكلمات، والكتابات،والأفكار والأنساق معناها، ويؤسس مصداقيتها"[2].ومن ثمة غدا هذا التمركز أو فكرة الحضور،أساسا لكل المقولات التي قامت عليها المركزية الغربية لما يربي عن خمسة و عشرين قرنا (25) قرنا؛ أي منذ عهد أفلاطون و أرسطو حتى هيدغر وشتراوس ودي سوسير [3].

وكإثبات لما ذهب إليه دريدا،والمتمثل في التأكيد على ارتكاز الفلسفة الغربية على تمركز عقلي،غدا يفكك كتابات من سبقوه من الفلاسفة حتى يكشف هذا التمركز،ويقف على التناقض الحادث في هذه الكتابات؛ حيث بعد تفكيكه لأعلام الفكر منذ العهد اليوناني كأفلاطون وأرسطو ومرورا بهيدغر وليفي شتراوسو إلى دي سوسير وجد أن هذه النزعة العقلية هيمنت هيمنة مطلقة على الفكر الغربي [4].

---

(1) معرفة الآخر، مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة: عبد الله إبراهيم وآخرون، المركز العربي الثقافي، الدار البيضاء،بيروت،ط2، 1996، ص 123.

(2) المرايا المحدبة: عبد العزيز حمودة،ص 378 .

(3) جاك دريدا، أما الآن؟ ماذا عن غد؟ الحدث، التفكيك،الخطاب،محمد شوقي الزين، ص32.

(4) جاك دريدا، محمد شوقي الزين، ص32.

ومن خلال هذا المنطق سعى دريدا إلى تفكيك هذا التمركز وذلك من خلال نقد الأصل الثابت والمتفرد بالقوة لمفهوم العقل [1].ومن خلال نقد دريدا لهذا المركز جعله يستنتج أن " أحد أكبر السبل تأثيرا التي نهض عليها التمركز حول العقل في الفلسفة الأوروبية هو اهتمامه بالكلام على حساب الكتابة "[2]،و بالتأليف الحديث عن المركزية العقلية تحيل لا محالة،على المركزية الصوتية،وذلك لأن التمركز حول العقل ما هو في حقيقة الأمر إلا نتيجة للتمركز حول الصوت .-حسب ما يرى دريدا- من خلال إعطاء الأولوية للكلام (النطق) على حساب الكتابة .

ويقدم هذا المعطى (نقد التمركز) إمكانية كبيرة في فحص منظومة الخطاب الفلسفي الغربي عبر قرونه الممتدة زمنيا،والمكتسبة لخصوصية معينة في كل لحظة من لحظاتها، بوصفها المراحل المتعاقبة للبناء التدريجي للفكر الأوروبي الحديث، ويكتشف هذا المعطى في الوقت نفسه عن التأمل الفلسفي المتعالي، ويعمل على تعريته وتمزيق أقنعته بوصفها رواسب حجبت صورة الحقيقة .

ويصر دريدا على أن لكل تركيب مركز سواء كان تركيبا لسانيا أم غير لساني، فلسفيا أم غير فلسفي، وحمل التراكيب لمراكز محددة يعطي أهمية لحركة الدوال لأن المركز – حسب دريدا- هو الجزء الحاسم من التركيب.

ويجب التفريق بين أهمية المركز بالنسبة للتركيب النصي، وبين نقد التمركز، فالمركز شيء إيجابي لحركة الدلالة والمعنى، أما التمركز فهو شيء مفتعل يضفي المركزية على من هو ليس بمركز، بمعنى قيام بنية مركزية تدعي لوحداتها النموذج المتعالي الذي يصح تطبيقه على كل نص، في زمان غير مقيد، وتوجه دريدا في هذا الإطار كان منتصبا على نقد التمركز بوصفه دلالة سلبية، ومدح المركز بوصفه العنصر المشع للدلالة والنقطة التي ينبثق منها اختلاف المعنى.

---

(1) المركزية الغربية: عبد الله إبراهيم، ص321.

(2)معرفة الأخر: عبد الله إبراهيم وآخرون، ص125

والحقيقة أن سعي دريدا لتقويض التمركز قاده إلى تحطيم كل المراكز، وتفكيك أنظمتها بدأ من مركز كل شيء وهو (الإله) وهو سبب مركزي لكل الأحداث، مرورا بمركز الحقيقة، و انتهاء بمركز العقلانية، وقصدية دريدا هذه تتجه إلى مبدأ يقتضي عد العلامات في حالة حركة مستمرة لانهائية، وتتحدد رؤية التفكيك لفلسفة الميتافيزيقيا الغربية على أنها نظام مركزي من ناحية أن كل وحدة من وحداتها يرجع إلى مركزية (الإله)، (الإنسان)، أو(العقل)، وقد دخلت هذه المراكز الثلاثة في علاقة جدلية عبر مراحل تطورها إلى أن وصلت إلى التفكيك، ويمكن تحديد مراحل تطور تلك المراكز وسماتها بأربع مراحل :

1- مرحلة العصر المسيحي المبكر إلى حد القرن الثامن عشر: واتسمت بكون الإله هو مركز كل شيء.

2- مرحلة القرن الثامن عشر وفلسفة التنوير إلى حد القرن التاسع عشر: تربع الإنسان على عرش المركزية.

3- القرن التاسع عشر إلى منتصف القرن العشرين تقريبا: وتميزت بالعقلانية هي المركز وأصل الأشياء.

4- المرحلة الأخيرة بدأت مع عام 1966: انبثاق معطيات دريدا النقدية :الذي أعلن بجرأة خلخلة كل تلك المراكز، وأصبح لكل تركيب ونص مركزا خاصا به .

وقد تركت كل مرحلة من تلك المراحل أثرا في التحليل التركيبي عند دريدا وانطلاقا من ذلك اعتمد دريدا في نقده لمظاهر التمركز على فكرتين اثنتين هما :

1- التوجه نحو البنية والتركيب بشكل مستمر، وكل الأنظمة والتي تمتلك مركز (نقطة للأصل).

2- كل الأنظمة أو التراكيب تتألف من أزواج أو ثنائيات متعارضة، وهذه الأخيرة هي الأصل في مشروع هدم التمركز.

ويهدف دريدا من نقد التمركز حول العقل"logocentrism " إلى تحطيم الأصل الثابت للمعنى بوصفه مصدرا،و تقويضه و تحويل كل شيء إلى خطاب، و تذويب الدلالة المركزية، ومن خلال ذلك تتحول الكتابة إلى أهمية قصوى، و يضمحل الاهتمام بالكلام،و لا شك أن التمركز حول العقل في الفلسفة الأوروبية قد نهض على الاهتمام بالكلام على حساب الكتابة، وقد فتح هذا التوجه مركزا آخر هو التمركز حول الصوت(Phonocenterism) . وقد شكلت نقطة اللوغوس بحد ذاتها تشعبا دلاليا، نظرا لما تحمله من موروث فلسفي ولغوي، وقد ربطها دريدا بالتمركز، ووظفها لكشف تحيزات الفكر الغربي وتمركزه حول المنطق على حساب المكتوب.

يتجه التفكيك إلى نقد المركزية الغربية وركائزها العقلية التي تمحورت حول فكرتين :(التمركز حول العقل، وفكرة الحضور) وقد تواكبت فكرة الحضور مع فكرة اللوغوس، لذلك اتجه التحليل التفكيكي إلى نقضهما معا، أي نقض التمركز حول العقل ونقض فكرة الحضور التي أطلق عليها دريدا :" ميتافيزيقيا الحضور"[1].

I-3-نظرية اللعب:

يشير المعطى الثالث إلى تمجيد التفكيكية بصيغة (اللعب الحر) اللامتناهي لكتابة ليست منقطعة تماما عن الإكراهات المغيبة للحقيقة، وتأكيد المعطى الثقافي للفكرة والإدراك، وغياب المعرفة السطحية المباشرة، واستلهام أفق واسع من المرجعيات الفكرية المماثلة، والفلسفية المعقدة، والنظم المخبؤوة، وطرائق التحليل الخاص ، وبالرغم من الصيغة التي يرتضيها التحليل التفكيكي لنظرية اللعب القاضية بإحالة الدال إلى دال آخر مع تغييب متعمد للمدلول، إلا أن تلك الصيغة محكومة بمجموعة من آليات– تشبه القوانين – يسطرها الناص (الواضع)

(1)من النسق إلى الذات:د. عمر مهيبل،ص 43.

ويستخدمها المتلقي (اللاعب)، ومن هذه الآليات: اللغز، التخطيط، الكتابة، الوهم، الغموض، المفارقة المونتاج والكولاج، الأسطورة، الهذيان، الهزل، التسلية، الجناس، الاقتباس، الرموز، الأضحوكة، وتعمل هذه الآليات على تلون الدوال، وتعدد القراءات، وتشظي الدلالة، وانتشار المعنى بشكل متواصل .

وتكاد المصطلحات والآليات السابقة تخلوا من الدلالات السلبية في لحظة تموضعها في النص، وقد أتاحت هذه الدلالات إمكانية إعادة توظيفها ضمن سياقات القصد التفكيكي القاضي بحرية الرؤية، واستخلاص المعاني من النص إما جدا وإما هزلا، وإما حقيقة وإما تمثيلا، وبحرية حركة الذهن مع النص طالما استبعدت فكرة الإحالة إلى مركز عقلي " logos".[1]

ونظرية اللعب عند دريدا لا تنفصل من نقد التمركز، لأن حركة الدوال في داخل أي مركز يسميها دريدا بـ (اللعبPlay)،وعند تفكيك المراكز تتمتع الدوال بحرية أكبر في عملية اللعب، مخترقة قانون صيانة اللعب الأساسي القاضي بإحالة الدوال إلى المدلول، وصيانته بشكل جديد يقضي بإحالة الدال إلى دال آخر في متاهة ينتج عنها تغييب المعنى، والإحالة إلى دلالات مستمرة لانهائية، ولقد اتسمت العلامات عند دريدا بإساءة الاستخدام (misuse)، وتحولت نتيجة العلامات من المصدر النهائي للمعنى إلى مصدر مستمر للعب، وانتقال المعنى بين الأزواج الثنائية المتغايرة والمتناقضة .

وإذا كانت نظرية اللعب لا تنفصل عن نقد التمركز فإنها كذلك لا تنفصل عن ثنائية الحضور والغياب، ويذكر دريدا أنه يمكن تفكيك أي نظام عن طريق إشارات تناقضاته، وهذا يؤدي إلى اللعب بانتظام، ويبرز دور ثنائية الحضور والغياب في قراءة الاستراتيجيات التفكيكية الخصوصية، التي تستند إلى قراءة الفجوات والهوامش في الخبرة البديهية للحقيقة وللنصوص، فضلا عن تنشيط حركة التفكيك في تفعيل دلالة التناقضات والإزاحات المتوارية في النص .

---

(1) المصطلحات الأدبية الحديثة: محمد عناني،ص 51.

وتقدم نظرية اللعب تفسيرات متعددة، وتمنح احتمالات مستفيضة، وتعكس هذه الإمكانيات الهائلة لنظرية اللعب، الموقف المعارض لمسيرة اختزال الكتابة، وتقزيم الدال، الممثلين لنبرات التمركز حول العقل والتمركز حول الصوت .

وفي نظر دريدا النص لا يكون نصا إذا لم يخف قانون تأليفه وقاعدة لعبته، ولاشك أن تخفيف نسبة الحضور في سياسة البناء النصية تزيد من فعالية القراءة وحضور المتلقي، لأنه هو المعني بثقافة الغياب التي يقصدها النص[1].

وهناك من يرى أن مصطلح اللعب عند دريدا مرتبط بمصطلح المراوغة الذي يقتضي مراوغة المدلول للدال بحيث تتحول العلامة اللغوية إلى علامة عائمة يحاول القارئ تثبيتها للوصول إلى المعنى .

والتحول الدلالي في منهجية دريدا هو تحول من سجن اللغة إلى سجن آخر لا يقل خطورة عن السجن البنيوي الأول، وهو سجن الدال، ويقتضي هذا التحول الإعلان عن سياق تحصيل المعنى بطريقة الدخول في لعبة الحاضر والمغيب، والدخول في لعبة الإحالات الدالة التي تقوم – حسب دريدا – بتشكيل اللغة والسقوط فيها ، إنها تتضمن تفعيل ممارسة الكتابة، والنتيجة: تفعيل ممارسة اللعب[2] .

I-4-علم الكتابة :

الغراماتولوجية "grammatologie" من كلمة "gramma" اليونانية التي تعني المكتوب أو المنقوش أو المسجل، في حين نجد الكثير من النقاد ترجموا هذا المفهوم بـ"النحوية " ومن هؤلاء عبد الملك مرتاض وعبد الله الغذامي، وسعد البازعي، قبل أن يتراجع عنها، فقد كان الغذامي سابقا إلى هذه الترجمة، يقول في سياق حديثه عن جاك دريدا :

(1) المرجع السابق، ص 52.
(2) الكتابة والاختلاف:تر: كاظم جهاد،ص 104.

" وانطلاقة دريدا كانت مع صدور كتابه (ofgrammatologie) أي في النحوية في عام 1967بفرنسا ..."[1]. أما سعد البازعي فقد ترجم هذا المفهوم في بداية الأمر بـ"النحوية " مثلما فعل الغذامي و مرتاض، واعتبرها الترجمة الأقرب إلى حقيقة هذا المفهوم، انتقد ترجمة بعض النقاد له بـ" علم الكتابة ". غير أن البازعي يعود في دراسة أخرى ليترجم هذا المفهوم بـ: "علم الكتابة " ولكن دون أن يبرز هذه المرة لماذا عدل عن ترجمته الأولى[2].

إن ترجمة هذا المفهوم بـ"النحوية" ترجمة خاطئة إذ لا علاقة لهذا المفهوم بالنحو، بل المقصود به هو علم الكتابة التي كانت منحطة في التراث الفلسفي الغربي منذ سقراط إلى دي سوسير، والذي كان يعلي من شأن الكلمة المنطوقة ،أما دريدا فقد أعلن موت هذه الكلمة ليفتح المجال أمام الكتابة لتمثل اللغة ولتمتد إلى جميع المجالات والحقول الأخرى، وبذلك غدت :" تسمية لغة تطلق على كل من الفعل والحركة، والفكر والتفكير، والوعي واللاوعي، والتجربة والعاطفة ...الخ[3].ونحن نواجه اليوم نزوعا لإطلاق تسمية كتابة على هذه الأشياء جميعا وسواها : لا لتسمية الحركات الجسمانية التي تستدعيها الكتابة الحروفية أوالتصويرية أو الأيديوغروفية فحسب، وإنما كذلك على كل ما يجعلها ممكنة"[4].

ويعد علم الكتابة نقدا لثنائية سوسير (الدال والمدلول) ورؤيته لدور العلامة وفاعليتها في بناء النص، فالدال عند سوسير هو تشكل سمعي وبصري، وصورة لحمل الصوت، وقد عد دريدا ذلك تمركزا حول الصوت وصورة واهمة لحمل المعنى، وقد اقترح دريدا استبدال (العلامة) بمفهوم الأثر(Trace)

---

(1) الخطيئة والتكفير:عبد الله الغذامي ،ص52.

(2) المكون اليهودي في الحضارة الغربية :سعد البازعي ،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،بيروت،ط1، 2007،ص 358.

(3)الكتابة والاختلاف:تر: كاظم جهاد،ص107.

(4) المصدر نفسه، ص 107.

بوصفه الحامل لسمات الكتابة، ولنشاط الدال، وقد تحولت اللغة وفقا لذلك من نظام للعلامات – كما هي عند سوسير– إلى نظام للآثار – كما هي عند دريدا –وتعين تلك الآثار على ترسيخ مفهوم الكتابة، وتوسيع اختلافات المعنى المتحصل من نشاط دوالها، لذلك عد دريدا علم الكتابة بأنه علم للاختلافات .

والأثر هو كل عنصر يتأسس من آثار العناصر الأخرى في النسق، عبر لعبة الاختلافات المتعددة التي تفضي إلى خلق فواصل بين عناصر اللغة، وهذا يحيل إلى وجود الاختلاف في داخل أنساق النص، أي اختلاف وإرجاء وإزاحة، ويطلق دريدا على هذا النسيج (الكَتَبَة :gramme) أو وحدة الكتابة أو عنصر الكتابة، ومفهوم الكتابة الأصلية عند دريدا لا يحيل إلى أصل، وإنما إلى ما يسبق التقسيم الثنائي (الدال والمدلول) إلى عنصر دلالة مادي، إنه وصف لكتابة تتجاوز القسمة التقليدية (كلام،كتابة) وتشكل رؤية جديدة سيادة الكتابة على الكلام، وقد وسع دريدا من ميدان التحليل التفكيكي في إطار علم الكتابة ليشمل تحديد أصل العالم بوصفه أثرا .

ويرتبط مفهوم الأثر لدى دريدا بمفاهيم الاختلاف والكتابة، والحضور؛ ذلك أن الاختلاف لا يمكن التفكير فيه بدون الأثر[1] لأن الأثر الخالص هو الإرجاء نفسه[2]. والكتابة وإن كانت ليست الأثر نفسه، فهي تمثيل للأثر بصفة عامة[3]. أما علاقة الأثر بالحضور فهي علاقة تعارض، إذ إن وظيفة مفهوم الأثر هي محو الحضور، من هنا، يحدد دريدا الأثر بأنه " كل ما يستعصي على أن يلخص في حدود الحضور وحده"[4].لكن برغم هذا التحديد فإن دريدا يؤكد أن الأثر مثله مثل الاختلاف "لاشيء"، لأنه ببساطة " ليس موجودا..."[5]،ولا يمكن أن يوجد،

(1) في علم الكتابة:جاك دريدا، ص 140.

(2) المرجع نفسه،ص 149.

(3) المرجع نفسه،ص 323.

(4) المرجع نفسه،ص 154.

(5) المرجع نفسه،ص 174.

لأن الوجود يعني الحضور، يقول دريدا :" والأثر نفسه لا وجود له فإن توجد معناه أن تكون، أي أن تكون موجودا، أي موجودا حاضرا ..."[1]. وكما يعارض الأثر الحضور فهو يعارض مفهوم الأصل، فالأثر كما يؤكد دريدا، متناقض وغير مقبول في منطق الهوية، إن الأثر لا يعني فقط إخفاء الأصل، إنه يعني هنا – في الخطاب الذي نتبناه والمسار الذي نتبعه – أن الأصل لم يختف، إذ أنه لم يتكون يوما إلا في مقابل اللا - أصل، أي الأثر،الذي يصبح هنا أصل الأصل[2].

إن الوحدة الإنتاجية لعلم الكتابة وهي (الأثر) تقود إلى بنود أخرى في سلسلة الطرح التفكيكي ومن تلك البنود مصطلح الانتشار أو التشتيت – هذا المصطلح وأصله الانجليزي Dissémination كانت ترجمته هو الآخر موضوع اختلاف بين النقاد العرب، فبينما اختار الرويلي والبازعي ترجمته " الانتشار والتشتيت " اختار المسيري ترجمته " تناثر المعنى " والكلمة يستخدمها دريدا في مقام كلمة دلالة وهي من فعل " Disseminat" بمعنى : يبث أو ينثر الحبوب، وللكلمة معان أهمها: أن معنى النص منتشر فيه ومبعثر فيه كبذور تنثر في كل الاتجاهات ومن ثم لا يمكن الإمساك به – الذي يوحي بتكاثر المعنى وانتشاره بطريقة يصعب ضبطها والتحكم بها، وهذا التكاثر يوحي باللعب الحر(Free Play) الذي لا يتصف بقواعد تحدي هذه الحرية بل هو في حركة مستمرة تبعث المتعة، وتثير عدم الاستقرار وعدم الثبات ويتسم بالزيادة المفرطة[3] ويتجلى ذلك في مصطلح (Pharmakon) الذي يعني (الدواء، السم، العلاج...)، وقد ذكر دريدا أن (Pharmakon) يمارس علمه بالإغواء وهو منتظم في بنية اللوغوس.

ومن البنود الأخرى في هذا الإطار مصطلح : التكرارية (Iterability) الذي يشير بشكل أساس إلى قابلية اللغة على التكرار،لا على معنى فعل الكلام (SpeechAct) وتفريعاته، والتكرارية قضية ترتبط بتكرارية الأصل،

(1) في علم الكتابة:جاك دريدا،ص 323.
(2) المرجع نفسه،ص 147.
(3) دليل الناقد الأدبي:ميجان الرويلي وسعد البازعي، ص 66.

مثل اعتماد الأثر على (الأثر الأصل)، وتعد التكرارية أصل لكل ما يقابل الوجود، وهي شرط إمكانية إعادة الإنتاج والتمثيل والاقتباس فضلا عن أن احتمالية التكرار هي أساس احتمالية الغياب، وتعدد المعنى، وتغيب المدلول، والتكرار هو أساس الهوية لأنه يعتمد على إدراك علامات المشابهة بين الهوية وآخرها[1].

ولاشك أن هذه المصطلحات مثل : (الأثر) و (التكرارية) و (الانتشار-التشتيت) قد أحالت إلى فضاءات التشكل الدلالي لقيمة الكتابة من جهة ولتعدد المعنى من جهة أخرى؛ هذه الفضاءات قد كشفت ميل اللوغوس وسيادته على الفكر الغربي لقرون عديدة.

إن علم الكتابة الذي اقترحه دريدا أثبت أن الخصائص الشكلية النحوية تقبل البناء والتقويض، وأن النحو غدا المعادل الحقيقي لمفهوم الكتابة في علم الكتابة.

إن استخدام مصطلح علم الكتابة هو استكشاف لأبعاد التمركز حول الكلام الذي سار مع عصور الفلسفة الغربية منذ أفلاطون وإلى العصر الحديث وتحديدا (منتصف القرن العشرين) وقد كان تركيز الخطاب الفلسفي الغربي على الكلام وإهماله للكتابة نتيجة كرههم لها، وخشيتهم من قوتها وقدرتها على تدمير الحقيقة الفلسفية التي يرى الفلاسفة أنها نفسية خالصة وشفافة. والجدير بالذكر أن حضور الكتابة وانجازها لنفسها يعد تهديدا لمركزية حضور العقل، ومركزية حضور السلطة ومركزية حضور الجسد خارجها، وإذا كان ثمة حضور للحقيقة فإنه يتمثل في تفكيك الكتابة لكل هذه المراكز لا لتكون مركزا بديلا، ولكن لتكون قراءة قد يطل منها الغائب والممتنع وما لم يفكر فيه والهامشي والمنفي.

---

(1)دليل الناقد الأدبي :ميجان الرويلي وسعد البازعي، ص 67-69.

I-5-الحضور والغياب:

من أهم المرتكزات التي اعتمدها دريدا لأن جميع إجراءات العملية النقدية للتفكيك تخضع لحضور الدوال – الذي يمثل الحضور في اللغة – وتغييب المدلول – الذي يمثل حالة الغياب، ويكون دور القارئ هو استدعاء هذا الغائب المتشكل في التصور الذهني – فضلا عن أن معطيات (الاختلاف، نقد التمركز- نظرية اللعب، والكتابة) تبرز فيها بشكل مباشر ثنائية الحضور والغياب، وقد انطلق دريدا من خلال هذه الثنائية وإلى جانب المعطيات السابقة لنقد توجه الخطاب الفلسفي الغربي، وتقويض أسسه من خلال كشف تناقضاته واللعب بأنظمته وممارسته، وتحويل معادلته المعرفية من ميتافيزيقيا الحضور إلى غياب المعنى واختلافه وتعدده.

وقد عدت ثنائية الحضور والغياب (حدثا مركزيا: Central Event) في الطرح التفكيكي عند دريدا، ومن أجل أن تعمل منظومة لابد أن تمتلك خصائص النقيض وهو الغياب، وبذلك يتعامل مع الحضور على أنه مظهر من مظاهر الغياب والاختلاف.

وتنشأ مشكلة ثنائية الحضور والغياب من اختلاف دلالة التيقن وعدمه في مفردة الاختلاف، فتتعارض الدلالات التي يقوم عليها الاختلاف، وحضور الدال وتعدد مدلولاته وغياب بعضها، والمتوالية المؤجلة في سلسلة العلامات اللانهائية، كل ذلك يؤكد أنه ليس هنا كحضور مادي للعلامة، بل هناك لعبة اختلافات فحسب وسعي وراء المغيب في اللغة وهذا يدفع إلى الحد من هيمنة فكرة الحضور[1].

ويرتبط بثنائية الحضور والغياب مصطلحات ابتدعها التحليل التفكيكي منها:

المتاهة (Aporia) والزيادة- الإضافة (Supplement) وهذه المصطلحات تسهم

(1) التفكيك،الأصول والمقولات :عبد الله إبراهيم ،ص 51-52

في تفعيل تكتيك النقد التفكيكي الذي يقوم على المتاهات، ويؤدي هذا التوجه إلى اضطراب النصوص وممارسة مناقضة ذاتها بشكل مستمر.

يرتكز مصطلح (المتاهة) على شرح القراءة المزدوجة، فالتفكيك لا يسعى إلى الوصول إلى حقيقة معينة في معرض نقده للتمركز الغربي، إنما يمارس قراءة وكتابة نقدية مزدوجة تهدف للوصول إلى منطقة مغلقة تضفي التناقض على المعاني وتصبح غير قابلة للتحديد، وتكون الحقيقة الوحيدة التي يستطيع التفكيك تقديمها هي : تموضع المتاهات في ثنايا النصوص وأنظمتها الدلالية[1].

أما مصطلح الزيادة- الإضافة- فيرتكز على تمييز الأصل الأول بذاته عن كل ما يمكن إضافته إليه، ووفقا لذلك يتحدد هذا المصطلح على أنه سمة أساسية في هوية الأصل والهوية الوحيدة التي بها يتأتى للأصل أن يتحدد ويتميز عن غيره.

وهذه الرؤية كانت تشكل – قبل معطيات دريدا – خطرا معرفيا انطلاقا من وصف حضور الكتابة على أنه تهديد مستقر داخل حضور اللفظ، بوصف الكتابة حضورا لاختلافات المعنى. وبالتالي لابد أن تشبه الزيادة أو تختلف في آن عما يلحق بها أوعليها ، ولابد أن تستدعيها حالة نقص جوهري فيما أضيفت إليه، ويكون – فضلا عن ذلك- إضافة على الأصل الأولي، واعتمادا على أسبقية الاختلاف يذوب امتياز هذا الأصل الأولي وفوقيته أمام هذه الزيادة الحاضرة[2]. يتبين من خلال الطرح السابق أن معطيات التفكيك وضعت بين خصوصية النص من جهة، وخصوصية القارئ من جهة أخرى، وبينت تلك المعطيات أن العلاقة وثيقة بين النص والقارئ، بوصف الأخير المكون العقلاني لتشكيل المعنى الجديد المنطلق من حيثيات أنظمة النص، وهذه المسألة كانت مدعاة عند التفكيك لإعادة النظر في منهجية النقد التقليدي لمرحلة ما قبل البنيوية، ومرحلة البنيوية، لبناء فكر نقدي يقوم على وظائف دلالية تتوزع بين النص وقارئه، فالأول ينهض

(1) دليل الناقد الأدبي :ميجان الرويلي وسعد البازعي، ص 133.

(2) المرجع نفسه، ص 71، 72.

بمهمة تغييب المعنى، وانتشار الدوال، وينهض الثاني بمهمة التلمس للاختلافات الناتجة من تعدد المعاني النصية ومتاهة مدلولاتها.

وتفهم المعاني المتعددة ودلالاتها من وجهة نظر النقد التفكيكي من خلال عد اللغة شكلا من أشكال الاتصال، ولا حقيقة خارج هذه اللغة؛ ومن هنا كان تعامل دريدا مع النصوص تعاملا ميتافيزيقيا وليس فيزيقيا، بمعنى تعامله مع المساحة الدلالية غير المنظورة للنص وتفاعله معها، وكان تركيزه منتصبا على مواطن الهشاشة في النص، لأنها تمتلك قوة تدميرية كبيرة للدلالة وستارا واقيا يعيق تلمس جماليات النص، وبالتالي يمكن عد تحليل دريدا النقدي التفكيكي تحليلا لمناطق غيبية في جسد النص، وهذه النقطة استمدها دريدا من منظورات القبلانيين في معرض تحليلهم للنصوص.

ويقابل نقد التمركز عند دريدا، وثورته على التمركز حول العقل في المشروع النهضوي الأوروبي، نقد اينشتاين للفيزياء وإعلانه عن نظريته في النسبية، وقد قدم دريدا بديلا عن التمركز حول العقل تمثيلا في الدعوة إلى(الانتشار) من هذا العقل والتحرر من مركزيته والوقوع في دائرة اللغة، وتترجم هذه الدعوة بأنها انتقال من نظرية الجمال الساكنة إلى نظرية للجمال تكون متحركة في ظل لعبة الدوال وتغييب المدلول، وقد ارتبط هذا بشكل مباشر مع الكتابة الجديدة التي دعا إليها دريدا، التحرر من سلطة العقل، والالتفات إلى الكتابة الجديدة، لا يولد إلا كتابة أخرى تمثل ثورة على الذات وعلى السكون .

ثالثا: كتاب "الكتابة و الاختلاف":

I-العناوين التي اشتمل عليها الكتاب:

يشير المترجم لهذا الكتاب أنه نتيجة لكتاب أكبر انشطر على نفسه، فلضرورات تقنية و أخرى متعلقة بالقراءة، ارتأى مؤلف هذه الدراسات الفكرية و مترجمها و الناشر إصدار ترجمة الدراسة الطويلة نسبيا " صيدلية أفلاطون" التي كان مخططا في البداية لأن تختتم الكتاب الحالي، ارتأوا إصدارها في كتاب منفصل [1].

و من هنا فعل القارئ أن يقرأ الكتابين معا إذا ما أراد أن يكون فكرة معمقة عن أعمال دريدا التي تحتل فيها " صيدلية أفلاطون " مكانة مركزية أما العنوان المعطى لهذه الدراسات : " الكتاب و الاختلاف" فهو مستعار من كتاب له يحمل العنوان نفسه، وسنترجم منه دراستين (" مسرح القسوة و حدود التمثيل " و " القوة و الدلالة") أما الدراسات الباقية فآتية من مؤلفات أخرى و قد سبق و نشرنا ترجمة (مسرح القسوة و حدود التمثيل) في" مواقف" العدد 43 سنة 1981 و أعددنا هنا ترجمتها بالكامل .

كما نشرنا ترجمة (القوة و الدلالة) في " الكرمل" العدد 17 سنة 1985 و أدخلنا تنقيحات كثيرة [2].

---

(1) الكتابة والاختلاف : جاك دريدا ، تر ، كاظم جهاد ، ص 6.

(2) المصدر نفسه، ص 6.

لقد قدم محمد علال سيناصر رئيس شعبة الفلسفة في منظمة اليونيسكو العالمية هذا الكتاب على النحو الآتي :

1- بدأ بالحديث عن جاك دريدا و كتاباته و لفظة دريدا بالغربية و العربية ثم تحدث عن التفكير الدريدي و من ثمة عن العقل و أهميته و عن " اللوغوس" و " الراسيو" و ما تحمله الكلمتان من ثنايا معنوية ترجع إلى تفكير طويل و ممارسات علمية و ارتباطات بنظرية الموسيقى و غير ذلك[1].

ثم أشار إلى أن كلمة " الراسيوناليسم" التي جدها " ديكارت" توظيف لمفهوم قديم له حجم حضاري و حقول معنوية ليست من عينة واحدة. هيمن هذا الالتقاء على مفهوم العقل و تعداه إلى المفهوم العقلي للعلاقة بين عنصرين و من هناك جعل " الاقتران" و العلاقة موضوع إشكال في مستوى العبارة الذرية البسيطة من نوع : « س كائن ب ».

{ يوجد }

و ببسط التحليل لهذا الارتباط نجد أنه من الطبيعي أن يقترن مفهوم العقل بشيء أقرب إلى الحساب و الحساب مجملا هو العقل.

ثم انعرج بالحديث عن الرابطة { est / الكائن / يوجد } و هي الأفعال المساعدة[2].

---

(1) الكتابة والاختلاف : جاك دريدا ، تر ، كاظم جهاد ، ص8 .

(2) المصدر نفسه، ص 9-11.

بعد ذلك يشير إلى أنه ليس ثمة من علم بالمعنى الدقيق للكلمة دون أن يمكن إخضاعه إلى نوع من الرياضيات حتى أن " كانط" رأى أن مقدار علمية علم ما يقدر بقدر ما فيه من رياضيات و تحدث عن مشكل اللغة و مشكلة الوجود و ربط الفلاسفة له بالمتصوفة[1].

2- ثم تناول الكلام على الخط الثاني الذي نميزه لرسم نهج يؤدي إشكالية أخرى من الإشكاليات الدريدية و هو الشك المنهجي الذي هو شك الفكر الإيجابي و أشار إلى أن أول من استعمله هو أبو حامد الغزالي إلى اليقين و تحدث عن المحسوسات، و نتيجة شك الغزالي تمكن في زعزعة اليقين الحسي. و أشار إلى أن الحركة التفكيكية لمسلمات الفلسفة توسعت و تعمقت و وصلت أوجها في السؤال الراديكالي الجذري : ما الوجود ؟ ثم يعرج للحديث عن دريدا و أنه مفكر لا تعنيه مشكلة الالتزام لذلك اهتم بعلاقة الفلسفة و القوميات اهتماما فلسفيا و أنه الأول الذي جدد الفكر في علاقة الفلسفة بالقومية و بالذاتية[2].

ثم تساءل عن التيار السائد في الفلسفة الفرنسية بعد انهيار النسق العقلي-الروحي، لقد عينه دريدا و لخصه في ما سماه بالرؤية الانطولوجية.

و يشير إلى الفطرة و التجلي الغزاليين و رابطتهما التي هي الإنسان و يتحدث عن التفكيك و مغزاه أيضا بأنه ليس تحليلا و لا مبادرة فلسفية فهو في ميدان الفكر محاولة استراتيجية أوضح ما فيها هو جانب معامرة تعكس مبتغاها بأن تعمل من غير قصد على إرجاع المفاهيم المفككة إلى أعماق فلسفية.

3- فليس من غريب الأمر أن يوفق دريدا بين فكره و مواقفه مع الاحتفاظ بجذر الفكر و قال إنه يشعر بالعسر و الغربة في الثقافة الفرنسية و أنه إفريقي شأنه شأن أي مفكر غيره أمثال أبي حيان التوحيدي و ابن رشد....[3]

---

(1) الكتابة والاختلاف : جاك دريدا ، تر ، كاظم جهاد ، ص12 .

(2) المصدر نفسه، ص 14- 15.

(3) المصدر نفسه، ص16-18.

ثم تحدث عن هايدغر و انتمائه و كذلك عن الروح و الفكر و الثقافة و التقاليد والثقافة الإسلامية و القرآن الكريم.

و ختم بالحديث عن الفكر و الحرية و العلاقة بينهما، فالفكر لا يتأتى من دون تجلد، و لا تجلد مع التبلد[1].

لقد قدم كاظم جهاد هذا الكتاب تقديما إجماليا اكتفى فيه بالتأثير بشيء من التخطيطية على الخطوط العريضة لفكر دريدا و موضعه من الفكر الذي يعاصره و موقع الدراسات المترجمة في هذا الكتاب من هذا الفكر نفسه[2].

تحدث فيه عن موقع جاك دريدا ضمن جيل الفلاسفة الفرنسيين و مكانته ثم أشار إلى التاريخ السياسي و الأدبي للفلسفة و تحدث عن الجيل السابق الذي احتمى بالهاءات الثلاث (هيغل و هوسرل و هايدغر) و الجيل اللاحق الذي احتمى بزعماء الشك (نيتشه و ماركس و فرويد) ثم عن العصر الحالي- عصرنا- الذي كتب عنه دريدا أنه هو عصر تضخم العلامة، الذي تأتي فيه حقبة ميتافيزيقية بكاملها لتعرض نفسها كإشكالية على اللغة و في اللغة[3].

و بعدها ينوه إلى إضافات الجيل الجديد اللاحق و التي تمثلت أهمها في الكشف عن استمرار خطاب اللاهوت و الميتافيزيقيا حتى في الأعمال الفكرية المتأخرة التي تزعم الخروج عنها[4].

---

(1) الكتابة والاختلاف : جاك دريدا ، تر ، كاظم جهاد ، ص21-22.

(2) المصدر نفسه، ص 23.

(3) المصدر نفسه، ص 24-25.

(4) المصدر نفسه، ص 25.

ثم تحدث في هذا العنصر عن الكتابة و الإيديولوجية و المجموعات العرقية الغربية و الكتابة عند أفلاطون و روسو و ليفي ستراوس ثم تعمق في الكلام عن استراتيجية التفكيك و الثنائيات المتضادة و كذلك تناول مفردة " الأثر " الذي يشير إلى إمحاء الشيء و بقائه محفوظا في الباقي من علاماته.

و في الأخير يورد خلاصة لما تناوله في هذا العنصر مفادها أن ما يتبعه دريدا و يحاول إقامته هو استراتيجية شاملة للتفكيك و هذه الأخيرة عليها أن تتفادى الوقوع في فخ المقابلات الثنائية الميتافيزيقية وأن تقيم داخل الأفق المغلق لهذه المقابلات (عاملة) على رجه من داخله[1].

ثم يسترسل في شرح عنصري الاستراتيجية المتمثلين في : " الجدية و الدهاء" و إعطاء أمثلة وافية لهما ثم يوضح أن دريدا اتجه للأدب و ذلك لتغذية هذه الاستراتيجية الذي وجد فيه مبتغاه من وحدات قلقلة على حد تعبيره[2].

ثم يتحدث عن التصور الآخر للكتابة الذي يدفعه إلى تقديم الملاحظات الثلاث التالية: حول الاختلاف، حول نقد دريدا لمنطق العلامة و حول ما يدعوه الكتابة الأصلية[3].

---

(1) الكتابة والاختلاف : جاك دريدا ، تر ، كاظم جهاد ، ص28.

(2) المصدر نفسه، ص29.

(3) المصدر نفسه، ص 30

ثم تطرق بتصدي دريدا لمفهوم الأصل و أن الأصلي عنده لا يكون أصليا إلا باستناده إلى النسخة التالية له. ثم يتوسع في التعريف بكلمة الاختلاف و الإرجاء و الإخلاف و معانيها عند دريدا[1].

كما تناول العلامة كما هي عند دي سوسير : الدال و المدلول و يعرف كلا منهما على حدى و يورد مثالا لذلك ثم يعود ليبين نظرة سوسير للغة و الكتابة بأنهما يشكلان نظامين للعلامات متميزين و نظرته أيضا للكلمة المنطوقة و المكتوبة ثم أنماط الكتابة عند الغرب، و يركز على نمط الكتابة الأبجدية أو الصوتية.

و في الأخير يختم هذا العنصر بالحديث عن الكتابة الأصلية و تجاوز ثنائية الكلام/ الكتابة ثم يشير إلى لعبة " الإحالات " و أنها هي الشرط المتعالي لكل عمل دال و كذلك يتكلم عن " الأثر " و علاقته بالإحالات و الاختلافات.

ليلخص في الأخير أنه ثمة في اللغة اختلاف بالضرورة و هذا النسيج هو ما يدعوه دريدا: Le gramme الكتبة نسيج يرينا أنه في كل شيء كتابة، بما في ذلك الكلام المنطوق.

هكذا تتحدد الكتابة الأصلية، كتابة كبرى، لا تحيل إلى أصل و إنما إلى ما يسبق تقسيم الكلمة إلى دال و مدلول، و تشكل بتعبير دريدا : " شرط كل شكل لكل لغة ". ثم يسمي العلم الذي يعني بها و هو ما سماه دريدا بـ : " الغراماتولوجيا "[2].

---

(1) الكتابة والاختلاف : جاك دريدا ، تر ، كاظم جهاد ، ص30-31.

(2) المصدر نفسه، ص32-34.

ـ محتويات الكتاب:

يبدأ الكتاب بعنوان إشارات ثم يتلوه تقديم لـ: محمد علال سيناصر ثم بعده مقدمة المترجم كاظم جهاد التي تحدث فيها- كما أسلفنا- عن موقعه في التاريخ ثم عن استراتيجية شاملة للتفكيك و عن الاختلاف و عن نقد العلاقة/ الكتابة الأصلية ثم بدأ بسرد نصوص الكتاب. فيه ثلاثة (3) نصوص قصيرة و هي:

1 - محاورة المترجم كاظم جهاد مع دريدا.

2 - رسالة إلى صديق ياباني.

3 - عرض دريدا للآفات الحالية لدراسة اللغة عبر علاقتها بالسياق.

ثم خمسة نصوص طويلة نسبيا:

- النص الأول: ترجم فيه الفصل الأول من كتاب " الغراماتولوجيا " و ذلك بطلب من دريدا، و فيه حديث مفصل عن التصور الجديد لكتابة تسبق تقسيم اللغة إلى كلام و كتابة.

- النصوص الأربعة الباقية: مكرسة للنص الأدبي و الخطاب المقام حوله.

و بعدها تحدث عن العناوين التالية:

*** آرتو نهاية التكرار (دراسة مسرح القسوة و حدود التمثيل):**

يسعى آرتو إلى إقامة مسرح بلا تمثيل و إلى كتابة لما قبل الانفصال: انفصال الكلمة إلى الدال و المدلول و الكيان إلى جسد و روح، وعي و لا وعي.

*** النقد الأدبي: من " الشكل إلى القوة ":**

يناقش فيها دريدا كتاب: جان روسيه : " الشكل و الدلالة – دراسات في البنيات الأدبية من كورنيه حتى كلوديل " و يؤكد على أهمية البنيوية في النقد الأدبي ثم يخوض جولة طويلة في منهجية نقد روسيه[1].

(1)الكتابة والاختلاف : جاك دريدا ، تر ، كاظم جهاد ، ص38-40.

*** جنيه: مغامرة الاسم:**

تميزت كتابة جنيه بحركة مزدوجة و هذا راجع إلى كتابة اسمه، الذي وجد دريدا أنه يدل على فرس اسباني عربي الأصل من جهة و من جهة أخرى على زهرة الوزال. و بالتالي المترجمة ب: المغارة، و لا يمكن لأي كاتب – حسب دريداcrypte فالاسم يعمل بمثابة - معرفة مغارته كليا بالتالي إلى كتابة اسمه.

و قد صرح دريدا في مناقشته حول هذه الدراسة عن جنيه بأن : " معرفتي اسمي تعني بلوغ الموت و أنا لا أستعجل معرفة اسمي مثلما لا أستعجل موتي "[1].

*** بارت عمل الحداد:**

تنطلق هذه الدراسة من موت (رحيل بارت) و من كتابه حول الموت (مؤلف بارت الأخير). يرينا فيها دريدا عمل المقابلات المفهومية لدى بارت داخل النص و طريقته الفريدة في التهيئة لتلاقيات غير منتظرة. و عمل الموت في اللغة و الصداقة و ما تفرضه على الكتابة من معايير للوفاء ممكنة و مستحيلة.

ثم يختم مقدمته بكلمة عن ترجمة دريدا أو انطلاقا من دريدا، فالترجمة في نظر دريدا لا تمثل عملية ثانوية، مثلما هي عند " بنيامين" فدريدا يعتقد أن اللغات ليست مفصولة بعضها عن البعض الآخر حقا... و أن الحظ الحقيقي لكل نص يتمثل في أن يترجم، و السائد في الترجمة هو العمل بحسب تصورين: الترجمة الحرفية، و الترجمة المؤولة، و مع بنيامين و دريدا يعرض مفهوما ثالثا نفسه و هو: " كل ترجمة يجب أن تسعى إلى فرض غرابة النص المترجم على اللغة المترجم إليها و بهذا تنشأ لغة ثالثة"[2].

---

(1) ينظر:الكتابة والاختلاف : جاك دريدا ، تر ، كاظم جهاد ، ص 42.

(2) المرجع نفسه، ص44 -45.

نأتي الآن إلى القسم الأول من الكتاب و الذي يضم – كما أسلفنا القول - ثلاث نصوص قصيرة:

أولها: على سبيل التوضيح: في الاستنطاق و التفكيك: حوار للمترجم مع جاك دريدا:

دار هذا الحوار في اثني عشر (12) سؤالا مردفا بجوابه.

- كانت الأسئلة الثلاث الأولى حول هايدغر و ما يدين به جاك دريدا له و عن نقده له و أيضا عن علاقته بشعر هولدرلين و كافة تعامله مع هايدغر و قراءته و بقية القراءات.

و لقد رد دريدا عن هذا بكلام طويل مفاده أنه يدين بالكثير لهايدغر و أنه في الوقت نفسه ينتقده كونه حسب الرؤية الميتافيزيقية و أيضا أنه لا يتعامل مع النص كمجموع متجانس، ففي كل نص قوى عمل هي في الوقت نفسه قوى تفكيك للنص.

- أما السؤالين الرابع و الخامس فقد ركز فيهما المترجم على النقد الأدبي وعن قابلية النصوص القديمة للتفكيك و الهدم ثم عن النقد الذي يحلم به و هنا يجيبه دريدا بأن الأدب و النقد الأدبي يخضعان لهيمنة نظم فلسفية كلاسيكية و بالتالي يمكن أن يظهر في الأدب فكر أو فلسفة.

أما عن النقد الذي يحلم به فإنه لو تحقق فلن يحمل اسم النقد الأدبي

- و في السؤال السادس يذهب المترجم إلى التساؤل: هل عمل دريدا مساهمة في الفكر المادي؟ و هل نصوصه نسيان للتاريخ؟ و عن هذا يتحدث دريدا بإسهاب مفاده أنه هناك مادية لن يرفضها و لكنه متحفظ منها و هي لن تكون لا مادية آلية و لا جدلية ستكون مادية غير-جدلية.

أما عن نسيان التاريخ فقد أوضح مرارا أنه تاريخي بصورة كاملة كونه شيء لا يمكن نسيانه فهو التاريخ.

- و في السؤال السابع يتجه المترجم إلى سؤاله عن دلالات مفردة الاختلاف و أنها غير قابلة للترجمة إلى العربية و لا إلى الانجليزية و سواها من اللغات و على حد تعبير دريدا أن هذه الدلالات تتضح من خلال سلسلة من المفردات الأخرى التي تعمل معها الكتابة، مثلا: الأثر، الزيادة، الملحق و هي جميعها كلمات مزدوجة.

- أما السؤال الثامن فكان حول عدم رجوع دريدا إلى مراجع تقع خارج الثقافة الأوروبية و أجاب كونه تلقى تعليما و ثقافة لا يسمحان له بالكلام بنحو مسؤول و جدي عن ثقافات أخرى غير غربية. ثم يسأله عن تعليم الفلسفة و تعليم فكر دريدا فأجابه بأن إقامة علاقة بين ما يكتب و ما يعلن هو شيء صعب و ممكن في الوقت نفسه.

- و بعدها يسأله عاشرا عن بحثه الحالي الذي يواصله على الساحة الفكرية الفرنسية و العالمية، فيجيبه أنه يقوم مع الباحثين ببحث لكن عملهم معاق نوعا ما في فرنسا خلافا لما يلقاه في بلدان أخرى. و أن المهم عند الفيلسوف أن يرى أعماله و هي تلقى الاهتمام و الشيوع فحسب بل يهمه أن يراها تقوم بإخصاب بعض الأفكار.

- أما السؤالين الأخيرين فكانا حول دراسة الثقافة الفرنسية و عن انتمائه لها و تحدث دريدا عنها بإيجاز موضحا أنه متحفظ إزاء الثقافة الفرنسية مع انتمائه إليها بالرغم من مولده في الجزائر، ثم يجيب عن سؤال: ما تشكله الجزائر في حياته قائلا: " أنا يهودي جزائري، يهودي لا يهودي بالطبع، و لكن هذا كاف لتفسير العسر الذي أتحسسه داخل الثقافة الفرنسية..."

ثانيها: رسالة إلى صديق ياباني (حول مفردة و مفهوم التفكيك):

بدأ الرسالة بعبارة: " عزيزي البروفيسور آزتسو".

ثم يسترسل في كتابة موضوع الرسالة و يذكر له في البداية سبب كتابتها، و هو أنه وعده مرة بكتابة بعض التأملات التخطيطية و الأولية حول كلمة " التفكيك". و كان الأمر يتعلق إجمالا بملاحظات تمهيدية لترجمة ممكنة لهذه الكلمة إلى اليابانية.

ثم استرسل في الحديث عن " التفكيك" و ما يكون التفكيك و ما يقابله في الفرنسية، و باقي اللغات، و أيضا ما تواجهه من ترجمة شائكة في اللغة الفرنسية و دلالاتها في هاته اللغة، و أنها كانت نادرة الاستعمال و مجهولة في فرنسا غالبا.

و تحدث بعدها عن هيمنة البنيوية آنذاك في فرنسا، و ارتباط التفكيك بها و بحركة: ما بعد- البنيوية. التي حصل جمع بينها و بينه في الولايات المتحدة.

بعد هذا يتجه إلى التعريف بالتفكيك، بأنه ليس تحليلا، و لا نقدا و على الترجمة أن تأخذ هذا بنظر الاعتبار أيضا، ثم يوضح كذلك أنه - التفكيك- ليس منهجا و لا طريقة و لا يمكن تحويله إلى منهج و ليس فعلا أو عملية.

بعد هذا يخبره أنه يلاحظ أنه إذ يحاول إيضاح كلمة، للمساعدة في ترجمتها، لا أقوم في الواقع إلا بمضاعفة الصعوبات: " مهمة المترجم" المستحيلة، هذا هو ما تعنيه مفردة التفكيك أيضا.

و يضيف قائلا: إن كلمة التفكيك شأن كل كلمة أخرى، لا تستمد قيمتها إلا من اندراجها في سلسلة من البدائل الممكنة في ما يسميه البعض " سياقا".[1]

---

(1) ينظر: الكتابة والاختلاف :جاك دريدا ،تر، كاظم جهاد، ص48.

و في خاتمة الرسالة يورد كلمة أخرى حول التفكيك بأنه مفردة قابلة أساسيا بلا بدال بكلمة أخرى في سلسلة من البدائل. و يمكن أن يتحقق هذا بين لغة و أخرى أيضا. و سيتمثل حظ التفكيك في أن تتوفر اليابانية على مفردة أخرى للتعبير عن الشيء نفسه، للكلام على التفكيك و اجتذابه إلى محلات أخرى و كتابته و خطه في كلمة أجمل أيضا.

هكذا ختم دريدا رسالته إلى صديقه الياباني متمنيا منه تقبل امتنانه و مشاعره الودية.

ثالثها: في اللغة:

و هو عرض دريدا للآفات الحالية لدراسة اللغة عبر علاقتها بالسياق بالمعنى الواسع للمفردة الأخيرة: الوضعية الفكرية- السياسية، الاجتماعية، الإشكاليات التي في النصوص الأخرى المحيطة و ظروف إنتاج الخطاب نفسه (المدرسة، الصحافة، سوق النشر، الإعلاميات...) و كذلك عبر كشوفات البراغماتية اللغوية أو تداولية اللغة (بنفنيست، أوستين) التي دعم دريدا حوارا معها داخل فكرة نفسه في محاورة مع صحفي وهمي تحدث دريدا في هذا الحوار عن اللغة و تلقي جمهور القراء لها و عن اختلاف وجهاتهم الفكرية و الاجتماعية و...

و كذلك عن تلقي الخطاب الفلسفي و دور الإعلام و الاتصال في نشره و تبليغه للمجتمع الذي لا يراه منقسما إلى شريحتين شريحة ذات ثقافة عالية و حس كبير بالفلسفة و الخطاب الفلسفي، و شريحة عادية لم تتلق إعدادا فلسفيا كبيرا.

و كذلك عن دور المدرسة و الكتاب و الصحافة في إيصال اللغة و انفتاح الخطاب الفلسفي على القراء بكافة شرائحهم، و تطرق أيضا للتداولية (البراغماتية) و علاقتها بالسياق اللغوي.

و في آخر المقال تناول الحديث عن تعليم اللغات للأجيال و خاصة اللاتينية، ثم أوضح في عدة نقاط اتجاه البحث في مجال اللغة حاليا و أهمها البراغماتية

و التفكير باللوغوس... يبدو من خلال هذا كله تركيز دريدا على البراغماتية و إخضاع التحليل النفسي لها و كذا الاعتماد في رأيه على تكنولوجيا الإعلام و أيضا على ربط الفلسفة بالسياق السياسي و الفكري و الاجتماعي و الثقافي....[1]

(1) المصدر السابق: ص49-54.

II-1-أهم ما قيل حول كتاب "الكتابة والاختلاف ":

إن كتاب "الكتابة والاختلاف " يقف على قمة اللحظة الغراماتولوجية – كما يسميها الدكتور عمر مهيبل في كتابه : جاك دريدا: أحادية الآخر اللغوية[1] –والتي دعا فيها دريدا إلى تثمين فعل الكتابة بما هو الوسيلة الأنجع لضمان ترسيم الأثر الخاص بكينونة الإنسان الزئبقية وبما هي مفتاح المعنى ولكنها أيضا بما هي مفتاح التفكيك، التشتيت، البعثرة، والمهم الذات التي يحسن تحريك توجهاتها بشكل بارع قصد تحطيم كل ما يحيل إلى الكثرة والمركزة والواحد المتأحد للميتافيزيقيا الغربية التي ينعتها بـ" ميتافيزيقيا الحضور" [2].

ويمثل الكتاب صورة أولية للفكر الدريدي في تعدد آفاقه وحركاته.

(1) جاك دريدا، أحادية الآخر اللغوية، تر: د : عمر مهيبل، ص 7.

(2) المرجع نفسه،ص 8.

II-2- العناوين التي صدر بها الكتاب:[1]

- Lettre à un ami japonais, un " psyché-Inventions de l'autre ", Ed. Galilée, Pars, 1987.

- Le langage, in " Douze lecons de philosophie ", Ed .du Seuil, Paris, 1982.

- Le théatre de la cruauté et la cloture de la représentation, in " L'écriture et la différence " Ed. du seuil, Paris, 1967.

- La fin du livre et le commencement de l'écriture, n " De la grammatologie ", Ed de minuit, Paris, 1967.

- Force et signification, in " L'écriture et la différence " Ed. du seul, Pars, 1967.

- "Glas"(Extraits), Ed Denoél-Gonthier, Paris, 1981.

- Les morts de Roland Bathes: in " psyché-Inventions de l'autre ". Ed.Galilée, Paris,1987.

(1) الكتابة والاختلاف : جاك دريدا ، تر : كاظم جهاد، ص3.

رابعا: أهمية الكتابة عند دريدا:

تمهيد:

يعد جاك دريدا بعد بارت محاولة أخرى هامة في مسار التنظير للكتابة مفهوما وتجربة، ولعل أبرز ما جاء به هذا المفكر بحثه في علاقة الكتابة بالاختلاف وتنظيره لها باعتبارها "علما". وتركز هذا المشروع أساسا على إعادة النظر في منزلة الكتابة مقارنة بالكلام (أي المشافهة) مخالفا كل سابقيه خاصة منهم فرديناند دي سوسير*، ففي كتابيه الأساسيين "الكتابة والاختلاف (l'écriture et la différence) "و"في علم الكتابة (de la grammatologie)" يعتبر مصطلح الكتابة مساهمة فعلية في إعطاء هذا المكتوب مكانة مرموقة بعد أن تمركز الفكر الغربي لقرون عديدة حول الكلام المنطوق** .فهو خلافا لهؤلاء لا يعتبرها دون الكلام ولا هي إخفاء له أو تشويه أو تكملة هامشية له ولا هي ناقصة لاقترانها بالغياب أو في أفضل حالاتها استعادة غير مباشرة للحضور، وإنما الكتابة- في نظره- هي في الواقع الشرط المكون للغة ذاتها (1)، وقد أثبت دريدا من خلال قراءته لسوسير وهوسرل وغيرهما أن الكلام نفسه شكل من أشكال الكتابة لأن صفة الغياب التي كان يظن أنها تميز الكتابة عن الكلام هي بالذات صفة الرموز عامة. ويذهب دريدا ومن جاء بعده إلى أكثر من ذلك، إذ لا يعتبر الكتابة مجرد تدوين لكلام وتثبيت للمنطوق أو حتى المفكر فيه، وإنما هي إعادة بناء للوعي: إنها تخلق ما سماه هيرش "لغة طليقة من السياق" أو ما سماه أولسن "الخطاب المستقل" وهو خطاب لا يمكن مساءلته أو معارضته على نحو ما يحدث في الخطاب الشفاهي، ذلك لأن الخطاب المكتوب منفصل عن مؤلفه. أضف إلى هذا أن من يؤلف النص أو "يكتبه"

* ذهب دي سوسير إلى تفضيل اللغة المنطوقة على الكتابة، ذلك لأن الكتابة في نظره "تغتصب" اللغة وتدمرها، وأن "الكتابة تحجب رؤية اللغة: فهي ليست لباسا ولكنها تحريف وتزوير". ولم يكن ديريدا الوحيد الذي خالف سوسير في نظرته السلبية إلى الكتابة مقارنة بالمشافهة، فقد رد عليه كذلك هلمسلف معتبرا أن النص المكتوب بالنسبة إلى اللساني يحمل القيمة نفسها التي يحملها النص المتلفظ، كما رفض أن يرى سبقا للجوهر الكلامي على الجوهر الكتابي وبالتالي فهو لا يعتقد أن الجوهر الكتابي مشتق من الجوهر الكلامي. (منذر العياشي: الكتابة الثانية، ص108/109).

**عرف تفضيل الكلام المنطوق على المكتوب منذ أفلاطون الذي اعتبر الكتابة تحريفا أو تشويها للكلام. واللافت أن أبرز اللسانيين يساندون هذا الرأي أولهم سوسير، ومنهم مارتينيه الذي يستند في موقفه إلى حجج منها أن كل البشر يتكلمون ولكن قل من يعرف الكتابة منهم، ومنها أن الأطفال يتعلمون الكلام قبل أن يتعلموا الكتابة بزمن طويل، ومنها أنه إذا كان ثمة انطلاق فيجب أن يكون من العبارة الشفوية وذلك لكي نفهم الطبيعة الواقعية للغة الإنسانية. (منذر العياشي: الكتابة الثانية. ص 109)

(1) البنيوية وما بعدها: مجموعة من المؤلفين ،تحرير جون سيتروك،تر:محمد عصفور، ص195.

يكون أثناء إنتاجه منفردا لذلك فالكتابة تتمتع ب"مركزية الأنا ."[1]ولا ينكر هؤلاء أن الكتابة قد تخلق الانقسام والاغتراب، غير أنها تأتي أيضا بوحدة عليا، فهي تركز الإحساس بالنفس وتعزز مزيدا من التفاعل بين الأشخاص. إن الكتابة من هذا المنظور تزيد من حدة الوعي،إن المفهوم التحديثي للكتابة الذي سنه دريدا، لا يجعلها وعاء للكلام فحسب، ولكن للغة برمتها، وهي سابقة عليهما، فتكون " اللغة نفسها تولدا ينتج عن النص، وبهذا تدخل الكتابة في محاورة مع اللغة، فتظهر سابقة على اللغة ومتجاوزة لها، فهي تستوعب اللغة، وتأتي كخلفية لها بدلا من كونها إفصاحا ثانويا متأخرا، وهذا هو البعد الخلاق الذي يريد دريدا منحه للغة" . لكن ما الذي تكونه هذه الكتابة السابقة على اللغة، وما هي خصائصها ؟

يشير رامان سيلدن إلى ثلاثة خصائص أساسية تميز الكتابة في ضوء مفهومها الدريدي الجديد، والمتوافق مع مفهوم اللغة الجديد نفسه- عند دريدا- القائم على الاختلاف ولانهائية الدلالة، وهي :
أولاها قابلية العلامة المكتوبة للتكرار في غياب منتجها الذي أنتجها في سياق معين، وكذا في غياب مخاطب محدد توجه إليه هذه الإشارة. وثانيتها أن العلامة المكتوبة يمكن أن تخرج عن إطار سياقها الفعلي، وتستنبت في سياق مختلف لا يراعي بالضرورة قصدية منتجها الأول. وثالثتها أن العلامة المكتوبة تقبل الإبعاد، فهي تنفصل عن غيرها من العلامات في سلسلة بعينها، وكذلك لا يمكنها أن تشير إلا إلى شيء ليس حاضرا فيها.
من هذا المنطلق، يمكن القول إن الكتابة بهذا المفهوم، هي كتابة الاختلافات بوصفها أثرا، أي الكتابة المعلومة الوجود والسابقة على اللغة، والمجهولة الماهية، وهي ما يسميها دريدا الكتابة الأصلية (l’archi-écriture) وهي مفهوم يتضمن الكلام والكتابة العادية معا.
إن موقع الكتابة الأصلية يصعب تحديده، وهي ليست جزءا من نظام اللغة، بل هي شرط لكل نظام لغوي يحكمه الاختلاف والإرجاء بين دواله ومدلولاته. يقول دريدا: " إن الكتابة الأصلية بوصفها حركة للإرجاء وقضية مركبة أصلية، لا تقبل التبسيط، وهي تفتح في إمكانية واحدة، السبيل للتحديد الزمني والعلاقة مع الآخر ومع اللغة، كما لا يمكنها بوصفها شرطا لكل نظام لغوي أن تكون جزءا من النظام اللغوي نفسه، ولا يمكنها أن تصبح موضوعا يعالج داخل مجال هذا النظام (وهو ما لا يعني أن لها مكانا واقعيا في مجال آخر، أو موقعا آخر مخصصا لها)" [2].

(1)-الشفاهية والكتابية:والترج أونج، تر: حسن البنا عز الدين، عالم المعرفة ،الكويت،1994 ،ص157.

(2) الكتابة والاختلاف: جاك دريدا: تر، كاظم جهاد، ص 33.

مكانة الكتابة عند دريدا :

إن دريدا يرفض الفكرة الغربية التي تمجد الصوت على الكتابة أو الحضور على الغياب باعتبار أن الكلام نسق وسيط تتلاشى دواله حال نطقها، ومن ثم تتخذ الدوال شكلا ملموسا، وبقدرة المتكلم إزالة أية التباسات قد تطرأ ليضمن أن أفكاره قد تم نقلها، أما في الكتابة لا تتلاشى الهيئات الوسيطة إذ تبقى الدوال، لأن الكتابة تقدم اللغة في سلسلة من الإشارات المادية التي تمارس عملها في غياب المتكلم وفي الأشكال البلاغية التي تتمتع بفنية عالية تتسم هذه الإشارات بدرجة عالية من الغموض والتشابك[1].

دريدا لا يرفض هذا الغموض، وذاك التشابك، بل يطلبه في نقده التفكيكي لأن الكتابة تجعل أفكار الكاتب أكثر تعرضا للفحص والعناية، كما أنها تفضح الكاتب، وتفصح عن مكبوته دون أن يشعر،لذلك جعل دريدا لها القدح المعلى،وقلب المعادلة لتستحوذ على مرتبة الصوت، وتصير هي الأساس، وبهذا يغيب الصوت، صوت المؤلف " لتعلن التفكيكية سلطة القراءة، وبالتالي تعلن ميلاد القارئ ويشيع المؤلف (الصوت) في جنازة متواضعة "[2].

---

(1)البنيوية والتفكيك ، مداخل نقدية: مجموعة من الكتاب، تر: حسام نايل، ص 153.

(2)التفكيكية والنقد الحديث: د: غسان السيد، مجلة الموقف الأدبي،ع 426، تشرين الأول، 2006.

لقد رفض جاك دريدا ميتافيزيقيا الحضور، وتبنى بحماسة مبدأ الإرجاء، وتحول اللغة إلى مجرد دوال أخرى لا يمكن معها تثبيت دلالة معينة، ولهذا أعطى الأفضلية للكتابة على الكلام.

إن تغييب دريدا وممنهجي التفكيك بعده لسلطة المدلول، تجر معها تغييبا للثوابت اللغوية، التي يعدها التفكيكيون أثرا من آثار الصرامة النقدية.

وفي كتابه الغراماتولوجيا أو "علم الكتابة""De laGrammatologie" حاول دريدا أن يبلور نظرية جديدة في الكتابة تختلف في بنائها وآليات عملها عن سابقاتها في هذا المجال، ينطلق من مسلمة أولى بسيطة وهامة وهي :"أن الكتابة هي الأصل، وهي أسبق من الكلام"، لأن الإنسانية ذاتها عرفت أشكالا متعددة من الكتابات البدائية (الأولية) قبل أن تبلغ مرحلة الخطابات المنطوقة، وأن هذا المفهوم (أي مفهوم الكتابة) يتجاوز مفهوم اللغة ويتضمنه وأن الكتابة علم قائم بذاته بالاستناد إلى التحديدات التالية :

1- إن فكرة العلم ذاته تولدت في مرحلة من مراحل تطور الكتابة.

2- و أنها تشكلت وتطورت بما أنها فكرة في إطار لغة تتطلب نمطا من العلاقات المحددة بين الكلمة والكتابة.

3- وأن هذه الفكرة بقيت دائما مرتبطة بمفهوم الكتابة الصوتية.

4- إن فكرة وجود علم عام للكتابة تولدت لأسباب ضرورية دعت إلى ذلك.

5- إن الكتابة ليست مجرد واسطة ثانوية ومكملة توظف لخدمة العلم لكنها شرط ضروري لإمكان الموضوعية العلمية.

6- إن فكرة التاريخية مرتبطة أساسا بوجود الكتابة.

ويقر دريدا بأن الاعتراف بالواقع التاريخي للكتابة هو في النهاية أمر واقعي ومفاجئ في الوقت ذاته ذلك أن الطابع العلمي للكتابة يأخذ دائما شكلا تاريخيا للكتابة مما جعل الجهد العلمي المبذول لبلوغ عملية الكتابة وموضعتها كفاحا متواصلا حتى بلوغ الدرجة القصوى وهو إعلان موت الكاتب وهذا ما قام به غريماس عن طيب خاطر[1].

ومن الجدير بالذكر أن الكتابة والكلام كلمتان محوريتان يمكن أن يبدأ بهما فهمنا، وتتمتع هاتان الكلمتان بدلالة خاصة في المفاهيم التقليدية للغة، إذ إن هذه المفاهيم تنص أسبقية الكلام وأولويته على الكتابة، إن الكلمة المنطوقة "صوت " كلمة غير خارجية ولها القدرة على المحو الذاتي.

كما تعرف الكلمة المنطوقة بأنها صورة صوتية سمعية وظيفتها هي استحضار المفهوم الذي تمثله الصورة الصوتية، وتتلاشى الكلمة المنطوقة أو الصورة الصوتية في سيرورة استحضار المفهوم، ولهذا السبب فإنها بوصفها دالا تطفئ نفسها في سيرورة التدليل على المدلول الذي يكون هو الأكثر أهمية من أي شيء آخر.

وانطلاقا من المفهوم التقليدي للغة تعرف الكلمة المكتوبة بأنها التمثيل الكتابي للكلمة المنطوقة، وبهذا الصدد فإنها دال الكلمة المنطوقة...وهكذا فإن " الكلمة المكتوبة هي دال الدال وتعد ثانوية بالنسبة إلى الكلمة المنطوقة" ولايمكن أن تقوم الكلمة المكتوبة بأي شيء عدا تمثيل الكلمة المنطوقة في حين أن الكلمة المنطوقة هي الدال، ولكن هاته الحجج التقليدية التي نسبت مكانة ثانوية إلى الكلمة المكتوبة ومكانة رئيسية للكلمة المنطوقة هي حجج ميتافيزيقيا لاهوتية كما يراها دريدا والذي نفهم من تعليقه حول هذا الأساس أن فهم الله هو الاسم الآخر للوغوس بوصفه حضورا ذاتيا، ومن الممكن أن يكون غير متناه وحاضر ذاتيا، كما

---

(1)من النسق إلى الذات: عمر مهيبل ،ص 66-67.

يمكن توليده من خلال الصوت بوصفه صفة ذاتية. إن هترتيب الدال الذي يمكن للذات من خلاله أن تستعير من خارج ذاتها الدال الذي تبعثه وتؤثر فيه في الوقت نفسه. وكذا الحال مع تجربة الصوت، إذ تحيا هذه التجربة وتعلن عن نفسها بوصفها إقصاء للكتابة ، بمعنى آخر إقصاء للدال الخارجي، المحسوس ،المكاني الذي يعيق الحضور الذاتي.

ويؤكد دريدا أن مفهومي الكلام والكتابة التقليديين يحيلان إلى خارج المعنى.

ومن الملاحظ في التفكيكية أن ثمة عنصر آخر هو" التمركز حول الكتابة" والمقصود به هو:"انتقال الأهمية من الكلام إلى الكتابة" وهو يمثل قلبا للمفهوم التقليدي القائل بأولوية الكلام أو الكلمة المنطوقة على الكتابة أو الكلمة المكتوبة.

فدريدا – ومن خلال ما سبق- نراه يقيم صرحا للكتابة على حساب الكلام، ويعطيها مجالا واسعا يتعد الخط الكتابي إلى " كل ما ينشره هذا الخط في الفضاء غريبا على نظام الصوت البشري كأن يكون سينمائيا مثلا، أو رقصيا أو نحتيا... هكذا سنقدر اليوم أن نتحدث عن كتابة رياضية من الرياضة أو عسكرية أو سياسية..."[1].

هذا هو المجال الواسع بكل ما يحمله من دلالة المجال المطلق الذي عمم بها دريدا الكتابة.

ونجده يميز هنا أيضا بين نوعين من الكتابة، كتابة تتكئ على التمركز المنطقي، وهي التي تسمى الكلمة كأداة مصوتة / أبجدية خطية، وهدفها توصيل الكلمة المنطوقة؛ وكتابة معتمدة على النحوية أو كتابة ما بعد البنيوية، وهي ما يؤسس العملية الأولية التي تنتج اللغة[2].

(1) الكتابة والاختلاف:جاك دريدا،تر: كاظم جهاد، ص 107.

(2) الخطيئة والتكفير:عبد الله الغذامي، ص 53.

وهي كتابة حداثية، بل ما بعد حداثية تعتمد على" عدمية الصوت وليس للكينونة عندئذ إلا أن تتولد من الكتابة، وهي حالة الولوج إلى لغة الاختلاف والانبثاق من الصمت، أو لنقل إنها انفجار السكون"[1].

(1) الخطيئة والتكفير:عبد الله الغذامي ، ص 53.

خاتمة

لقد حاولت أثناء كتابتي لخاتمة هذا الجهد، أن أحوصل ما توصلت إليه من جهة ،و أن أزيل الستار عن تلك الفراغات التي بقيت في الكتابة بين العبارات من جهة ثانية.

و جملة هذه النتائج و التساؤلات التي أثارت اهتمامي قد جمعتها في عدة عناصر، و هي ما يلي:

- أصول الكتابة و تطورها عند القدامى و المحدثين.
- نظرة التفكيكين للكتابة.
- موقف دريدا من الكتابة من خلال كتابه" الكتابة و الاختلاف".

و لو أردنا أن نفصل أكثر لهذه العناصر، وجب علينا معالجة كل عنصر على حدا:

أولا:إن أول عنصر تطرقنا إليه هو(أصول الكتابة و تطورها عند القدامى و المحدثين).

و ما لفت انتباهنا إلى جانب هذا العنصر كذلك هو أن العرب لم تول اهتماما للكتابة، فقد مجد أسلافنا المشافهة لأنهم اعتبروها ضرورة لابد منها، لهذا ضاع موروثنا العلمي و خصوصا الأدبي منه.

ثانيا: أما فيما يتعلق بثاني عنصر في بحثنا ألا و هو(نظرة التفكيكين للكتابة) فيمكن القول أنه قد توصلنا فيه عموما إلى أن التفكيكية من أهم نظريات النقد المعاصر الداعية إلى خلخلة الفكر الإنساني الخالد الذي اعتبر مقدسا، و يعد عنصر علم الكتابة معطى يميل إلى منظومة دقيقة بنى عليها التفكيك أغلب مقولاته و نقد من خلالها مسيرة العلاقات النسبية، و تشكل خطابها الفلسفي و استحداث هذه المنظومة يعبر عن موقف التحليل التفكيكي من عصور اختزال الكتابة، و تهميش الدال و نزعة التمركز حول الصوت و العقل، فمجمل المعطى النقدي لعلم الكتابة

يعد نقدا لثنائية سوسير (الدال و المدلول) و رؤيته لدور العلامة و فعاليتها في بناء النص، فتحولت اللغة من نظام للعلامات عند سوسير إلى نظام للآثار عند دريدا. فتفهم المعاني المتعددة و دلالاتها من وجهة نظر النقد التفكيكي من خلال عد اللغة شكلا من أشكال الاتصال و لا حقيقة خارج اللغة.

ثالثا: من الإشكالات التي طرحناها في هذه الدراسة هي (نظرة دريدا للكتابة)، و قد توصلنا إلى الآتي:

- رفض دريدا للفكرة الغربية التي تمجد الصوت على الكتابة أو الحضور على الغياب، إذ يرى أن الكلام نسق وسيط تتلاشى دواله حال نطقها على عكس الكتابة التي تحافظ على الدوال في سلسلة من الإشارات المادية و التي يمكن ممارستها حتى أثناء غياب المتكلم.

- يرى دريدا أن الكتابة هي الأصل، و هي أسبق من الكلام؛ و ذلك أن الإنسانية نفسها عرفت أشكالا متعددة من الكتابات البدائية قبل بلوغها مرحلة الخطابات المنطوقة.

- يعد دريدا مفهوم الكتابة يتجاوز مفهوم اللغة و يتضمنه و يقول بأن الكتابة علم قائم بذاته.

- لقد ميز دريدا بين نوعين من الكتابة، فرأى أن هناك كتابة تتكئ على التمركز المنطقي و كتابة تعتمد على النحوية أو كتابة ما بعد البنيوية.

- لقد ثمن دريدا فعل الكتابة، لأنه الوسيلة الأنجع لضمان ترسيم الأثر الخاص بكينونة الإنسان الزئبقية.

و أخيرا ما يمكن أن نلاحظه أن هذه الثورة الدريدية ليست ثورة على ثنائية (الكلام و الكتابة) إنما في جوهرها ثورة قائمة لزعزعة الفكر الغربي المهيمن و المدعي بالمثالية معتمدا في ذلك على الكتابة المابعد حداثية المتمركزة على " عدمية الصوت" حينئذ لا يمكن للكينونة أن تتولد من الكتابة و هي حالة الولوج

إلى لغة الاختلاف و الانبثاق من الصمت، أو لنقل كما قال عبد الله الغذامي: " إنها انفجار السكون ".

و لله الحمد في البدء و الختام، و صلى الله على نبينا محمد و على آله و صحبه أجمعين.

الملحق

الملحق: مصطلحات الدراسة:

- **مفهوم الكتابة**: لا يمكن تعريف علم الكتابة تعريفا اصطلاحيا بمعزل عن تعريفها اللغوي. و من المعلوم أنه لا يمكن تحليل أي نص وفق أي منهج إذا لم يكن لهذا النص أثر واضح و لو ادعى البعض عكس ذلك فالكتابة هي العنصر البؤري لأي عمل أدبي أو نقدي، فالكتابة هي العماد الذي تقوم عليه النصوص لأن التعامل مع الكتابة في النص، في الواقع هو تعامل مع الحياة، ومع الأشخاص و قد طرحت إشكالية الكتابة منذ عصر ما قبل الميلاد، حيث تعامل معها الإنسان القديم و استعملها لأغراض عديدة.

- **الحضور و الغياب**: هو الثمرة المعرفية للتحليل التفكيكي و الهوية المحددة له و هو الأصل في الرصيد النقدي للطرح التفكيكي لأن جميع إجراءات المسيرة النقدية للتفكيك تخضع لحضور الدوال و تغيير المدلول.

- **التفكيك**: نحن نقصد بالتفكيك ما رآه جاك دريدا في مداعبته للنصوص الأدبية فالتفكيك عنده لم يؤسسه كمنهج نقدي لخدمة النص الأدبي أو خلق أنموذج جديد للقراءة، بقدر ما كان يسعى فكريا لتقويض جميع الموروثات الفكرية و الفلسفية و الدينية و السياسية التي ظلت أسيرة للفكر الغربي زمن العصور المظلمة.

- **قتل المؤلف**: و ذلك بتكفين المدلول في غياهب اللاحضور و مركزه الدال تحت سلطة القارئ الذي يرث النص عن مؤلفه ليقوم بتفكيكه و تقويضه.

- **التمركز حول العقل و فكرة الحضور**: طمح هذا التوجه إلى تعويض كل المراكز الدلالية و بؤر المعاني التي تشكلت حولهما لأن الممارسة الفكرية الغربية حول اللوغوس أنتجت مركزا عقليا أقصى كل ممارسة فكرية لا تمتثل لشروطه، فقد ربط بينه و بين الحقيقة و أنتج نظاما مغلقا من التفكير و قد تواكبت فكرة الحضور مع فكرة اللوغوس، لذلك اتجه التحليل التفكيكي إلى نقضهما معا، أي نقض التمركز حول العقل و نقض فكرة الحضور التي أطلق عليها دريدا: ميتافيزيقا الحضور.

- **الأثر:** لقد استبدل دريدا مفهوم العلامة بما يعرف بالأثر لأنه هو الحامل لسمات الكتابة و لنشاط الدال فتحولت اللغة من نظام للعلامات عند سوسير إلى نظام للآثار عند دريدا، و تعيين تلك الآثار على ترسيخ مفهوم الكتابة و توسيع اختلافات المعنى المتحصل من نشاط دوالها، لذلك عند دريدا علم الكتابة بأنه علم الاختلافات.

- **الكتبة:** (وحدة الكتابة، عنصر الكتابة).

- **الانتشار أو التشتيت:** الذي يوحي بتكاثر المعنى و انتشاره بطريقة يصعب ضبطها و التحكم بها، و هذا التكاثر يوحي باللعب الحر، الذي لا يتصف بقواعد تحد هذه الحرية، بل هو في حركة مستمرة تبعث المتعة، و تثير عدم الاستقرار و عدم الثبات، و يتسم بالزيادة المفرطة.

- **التكرارية:** الذي يشير بشكل أساس إلى قابلية اللغة على التكرار لا على معنى فعل الكلام و تفريعاته، و هي قضية ترتبط بتكرارية الأصل و هي لكل ما يقبل الوجود و هي تشترط إمكانية إعادة الإنتاج و التمثيل و الاقتباس فضلا عن احتمالية التكرار هي أساس احتمالية الغياب، و تعدد المعنى الهوية، و تغييب المدلول والتكرار أساس الهوية لأنه يعتمد على إدراك علامات المشابه بين الهوية و آخرها، و تعتمد هذه العلامات في الوقت نفسه على قابليتها و قدرتها على الاستنساخ و التكرار، حتى قيل أن الهوية القابلة للتكرار هي الهوية المثالية، و بدون التكرار لا وجود للحقيقة حسب الرؤية التفكيكية.

- **الميتافيزيقيا:** ما وراء الطبيعة.

- **القارئ النموذجي:** القارئ ذو القدرات العالية.

- **المتاهة:** هي ممارسة القراءة و الكتابة النقدية المزدوجة التي تهدف للوصول إلى منطقة مغلقة تضفي التناقض على المعاني و تصبح غير قابلة للتحديد و تكون الحقيقة الوحيدة التي يستطيع التفكيك تقديما هي: تموضع المتاهات في ثنايا النصوص و أنظمتها الدلالية.

- **الزيادة- الإضافة-:** هي تميز الأصل الأول بذاته عن كل ما يمكن إضافته إليه.
- **التمركز حول الكتابة:** هو انتقال الأهمية من الكلام إلى الكتابة.

Résumé de la recherche en français

- L'ensemble des résultats et des interrogation qui m'ont attiré l'attention sont ci- après :
  1- Les foncements de l'écriture et son évolution chez les anciens et les contemporains. En effet, beaucoup de chercheurs se misent d'accord que l'écriture cunéiforme considérée comme la première écriture comme par l'humanité.

De plus , ce qui nous a attiré que les arabes n'ont pas donné une importance à l'écriture car nos ancêtre ont glorifie l'oral par conséquent , notre patrimoine scientifique est disparu notablement le patrimoine littéraire.

  2- La perspective des dissociateurs pour l'écriture : La dissociateur est considérée l »une des théories les plus importantes de la pensée perpétuelle de l'humanité. Les dissociateur en disant que comprendre les différents sens et leurs significations à lézarde de la critique dissociatif, c'est de considérer la langue comme une sorte de communication et aucune vérité est hors de la langue.
  3- L'avis de jacques drida pour l'écriture dans son ouvrage « L'écriture et la divergence » , Drida rejette l'idée occidentale qui préfère le son que l'écriture ou l'assistance que l'absence.
     Il a aussi estimé que l'écriture est l'origine en prenant en considération son ancienneté par rapport au langage. L'humanité d'après lui, a connu différentes formes d'écritures primitives avant qu'elles soient des discours parlés. Puis , il a ajouté que la conception de l'écriture inchut celle de la langue. On constaté que Drida a distingue différentes sortes d'écriture.

En conclusion, on peut dire que la révolution « dridienne » n'est pas basée sur la duplicité (écriture/ langage) . Mais , C'est une révolution basée sur la convulsion du pensée occidentale dominante qui prétend l'idéalisme.

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر و المراجع:

***القرآن الكريم برواية "حفص".**

***المصادر العربية:**

1 - الكتابة و الاختلاف: جاك دريدا، تر: كاظم جهاد، تقديم محمد علال سي ناصر دار توبقال للنشر، ط 2، 2000.

***المراجع العربية:**

2 - أسس الفكر الفلسفي المعاصر، مجاوزة الميتافيزيقيا: دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط 2، 2000 .

3 - إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد: يوسف وغليسي ، الدار العربية للعلوم، ناشرون بيروت، منشورات الاختلاف الجزائر، ط1، 2008.

4 - الأغاني : أبو الفرج الأصبهاني، طبعة القاهرة،ج17، 1927 – 1936.

5 - الأمالي في أصول الكتابة العربية: أ، د، آدم ثوليبني، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط 1 ، 2006 .

6 - بنية الخطاب الشعري: دراسة تشريحية لقصيدة أشجان يمنية، عبد الملك مرتاض ، ديوان مج ، الجزائر ، 1991 .

7 - البنيوية والتفكيك: مداخل نقدية، مجموعة من الكتاب، تر : حسام نايل، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 2007 .

8 - البنيوية وما بعدها ، مجموعة من المؤلفين، تحرير: جون ستروك، ترجمة: محمد عصفور ،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، جانفي 1978.

9 - تاريخ التراث: فؤاد سنركين ، جامعة الملك سعود، المجلد الأول، ط1 ،1991 .

10 - تأويلات و تفكيكات: محمد شوقي الزين، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت ـ ط 1، 2002.

11 - التراث العربي الإسلامي: د. حسين محمد سليمان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 4، 1988.

12 - التراث العربي الإسلامي: فؤاد شركين، نقله من الألمانية محمود فهمي حجازي، جامعة الإمام بن سعود الإسلامية، مجلد1، ج3، 1962.

13 - التفكيكية: النظرية والممارسة، كريستوفر نوريس، ترجمة صبري محمد حسن، دار المريخ، السعودية،دط ، دت.

14- تقديم العلم: الخطيب البغدادي" أبو بكر أحمد "، تح: يوسف العش، دمشق، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، 1949.

15 - جاك دريدا: أحادية الآخر اللغوية، ترجمة وتقديم: د.عمر مهيبل، منشورات الاختلاف الجزائر، الدار العربية للعلوم، ناشرون، بيروت، ط 1، 2008.

16 - جاك دريدا، ماذا الآن؟ بماذا عن غد، الحدث، التفكيك، الخطاب، إشراف: محمد شوقي الزين، منشورات الاختلاف الجزائر، دار الفارابي، بيروت ط 1، 2011 .

17 - الحداثة و ما بعد الحداثة: عبد الوهاب المسيري و فتحي التريكي، دار الفكر، دمشق، ط 1 ، 2003.

18 - الخطيئة و التكفير، من البنيوية إلى التشريحية: دراسة نقدية لنموذج معاصر،عبد الله الغذامي، الهيئة المصرية للكتاب القاهرة، ط 4 ، 1998.

19 - الدال و الاستبدال: عبد العزيز بن عرفة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط 1، 1993.

20 - دروس الخط العربي: محمد سعيد شريفي، دار موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 1، 2010 .

21 - دروس السيميولوجيا : رولان بارث، تح ، عبد السلام بن عبد العال، دار توبقال، ط 2، 1986 .

22 - دليل الناقد الأدبي: إضاءة لأكثر من خمسين تيارا و مصطلحا نقديا معاصرا، سعد البازعي و ميجان الرويلي، مركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط 2، 2000.

23- دليل النظرية النقدية المعاصرة: د. بسام قطوس، مكتبة دار العروبة للنشر، الكويت، ط 1، 2004 .

24 - سجن اللغة: فريديريك جيمسون، مطبعة جامعة برنستون، 1972.

25 - الشفاهية والكتابية: والترج. أونج، تر، حسن البنا عز الدين، عالم المعرفة، الكويت، 1994.

26 - في علم الكتابة: جاك دريدا، تقديم وترجمة أنور مغيث ومنى طلبه، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط 2، 2008 .

27 - في علم الكتابة: المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط 1، 2005.

28 - ما وراء المنهج: تحيزات النقد الأدبي الغربي في إشكالية التحيز، رؤية معرفية ودعوة للاجتهاد محورا: مشكلة المصطلح، الأدب و النقد، التحيز، رؤية معرفية سعد البازعي المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية ط3 ، 1998.

29 - محاضرات في الألسنية العامة: دو سوسير، تر : يوسف غازي ومجيد النصر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، د ط ، 1986 .

30 -المخبر: محمد بن حبيب أبو جعفر، حيدر أبار،دط ، 1942.

31 -مدخل إلى العلامة في فينو مينو لوجيا هوسرل: المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط 1، 2005.

32 - مدخل إلى فلسفة جاك دريدا، تفكيك الميتافيزيقيا واستحضار الأثر، ترجمها لكتاب- سارة كوفمان- وروجي لابورت- إفريقيا الشرق، ط 1، 1991 .

33 - المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك: د. عبد العزيز حمودة، سلسلة عالم المعرفة،رقم 232 ،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.الكويت، 1980.

34 - المركزية الغربية: عبد الله إبراهيم، المركز العربي الثقافي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 1997.

35 - المصطلحات الأدبية الحديثة، دراسة ومعجم انجليزي- عربي: محمد عناني، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان ، ط 1، 1996.

36 - المصطلحات الأدبية الحديثة، دراسة و معجم إنجليزي/ عربي: د: محمد عناني، الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان، ط2، 1997،.

37 - معجم المصطلحات الأدبية المعاصر, سعيد علوش ,منشورات المكتبة الجامعية، الدار البيضاء، 1984

38 -معرفة الآخر، مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة: عبد الله إبراهيم وآخرون، المركز العربي الثقافي، الدار البيضاء، بيروت، ط2، 1996.

39 -المقدمة: عبد الرحمان بن محمد بن خلدون، تح : علي عبد الواحد وافي، القاهرة،1960.

40 - المكون اليهودي في الحضارة الغربية:سعد البازعي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 2007.

41- مناهج النقد الأدبي: د: يوسف و غليسي، دار جسور للنشر و التوزيع، الجزائر، ط 3، أكتوبر 2010.

42 - من النسق إلى الذات: د . عمر مهيبل، منشورات الاختلاف، ط1،2001.

43 - موسوعة حضارة العالم: د.أحمد محمد عوف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 1، 1991 .

44 - نظرية الأدب المعاصر وقراءة الشعر: ديفيد بشيندر، تر: عبد القدوس عبد الكريم، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، د ط ، 1996.

45 - نظرية التقويض (مقدمة في المفهمة و التأسيس): عبد الملك مرتاض، علامات في النقد، النادي الأدبي الثقافي، جدة ، مج 10،ج 34، 1999.

46 - نظرية الكتابة في النقد العربي القديم: د: حبيب مونسي، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، ط 1، 2001 .

47 - نظرية النقد: موراي كريغر، مطبعة جامعة جون هوبكتر، بلتيمور، لبنان، 1972.

48 - النقد الأدبي ومدارسه عند العرب: أستاذ دكتور. قصي الحسين، دار ومكتبة الهلال، بيروت دار الشروق، جدة، 2008 .

49 - نقد النص: علي حرب، المركز الثقافي العربي، المغرب – لبنان، ط 4، 2005.

50 - اليهودية و ما بعد الحداثة: رؤية معرفية، إسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ماليزيا، س: 3، ع: 10، 1997.

*** المعاجم والقواميس العربية:**

51 - الأداء، القاموس العربي الشامل: أمل عبد العزيز محمود، دار الراتب الجامعية،بيروت، ط1، 1997.

52 - أساس البلاغة: جار الله أبي القاسم محمد بن عمر الزمخشري، مراجعة وتحقيق إبراهيم قلاتي، دار الهدى، الجزائر، دط ، دت.

53 - المتقن: إعداد، د. هزار راتب. وآخرون ، تنقيح : أستاذ . محمد عبد الرحمان الأسود وآخرون ، دار الراتب الجامعية ، بيروت ، لبنان.

54- المصباح المنير: أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، 2004.

55 - لسان العرب: جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور، تح: عامر أحمد حيدر، مج 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1،2003.

56 - مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، 1998.

*** المجلات:**

57 - التفكيكية و النقد الحديث: د: غسان السيد، مجلة الموقف الأدبي، ع، 426 ، تشرين الأول، 2006.

58 - مجلة العرب والفكر العالمي: العدد رقم 6، ربيع 1989.

59 - مجلة العلم: (أكاديمية البحث العلمي) , القاهرة ,ع 01 , 1991 .

60 - مجلة فصول: (مجلة النقد الأدبي)، مج 6،ع 3، 1986.

*** المراجع الأجنبية:**

61- L a grammatologie : Jacques Derrida, les editions de Minuit, Paris, 1967.

62 - Larousse Universel, 2, nouveau dictionnaire, Claude Auge, encyclopèdie libraire, Larousse, Paris.

الفهرس

العنوان	الصفحة
• **المقدمة**	ح- ل
• **الفصل الأول: أصول الكتابة و تطورها**	41-11
* أولا: تعريفات لغوية و اصطلاحية	11
- تعريف الكتابة	11
✓ الكتابة لغـــة	11
✓ الكتابة اصطلاحا	12
* ثانيا: الكتابة بين القدامى و المحدثين	13
- ظهـور الكتابـة	13
✓ عند الشعوب القديمة	14
المسمارية	14
الهيروغليفية	16
المروية	17
✓ عند اليونان: (الأبجدية الفينيقية)	18
✓ عند الإغريق	19
* ثالثا: الكتابة عند العرب	20
مدخل	20
- الكتابة عند العرب في العصر الجاهلي	21
- الكتابة عند العرب في عصر الإسلام	25

مدخل	25
- الكتابة عند العرب في صدر الإسلام	26
* رابعا: بين الكتابة و المشافهة	34
• **الفصل الثاني نظرة التفكيكين للكتابة**	84-42
* أولا: المدرسة التفكيكية	43
-الجذور الفلسفية للتفكيك	43
-الظهور و التطور	44
* ثانيا: التفكيك(مبادئه، أعلامه و هدفه)	47
- مفهوم التفكيكية	47
✓ دلالات التفكيك: (La Dé- construction)	51
-المبادئ والمسار الابستيميولوجي	54
✓ المبادئ	54
✓ المسار الابستيميولوجي و السياق المعرفي لاستراتيجية التفكيك	55
- الأدب عند التفكيكين	58
- أعلامه	61
-هدف التفكيك	62
* ثالثا: غياب التفكيك وحضوره في الفكر النقدي العربي	64
- تلقي التفكيك في الأوساط الغربية و العربية	67

✓ التفكيك عند الغرب (دريدا)	67
✓ التفكيك عند العرب	70
-ترجمة مصطلح التفكيك	74
* رابعا: نقد التفكيكية	81
• **الفصل الثالث: نظرة دريدا للكتابة من خلال مؤلفه " الكتابة و الاختلاف"**	133-85
* أولا: ترجمة جاك دريدا	86
- تعريف جاك دريدا: JacqueDarrida	86
- أقوال في جاك دريدا	88
* ثانيا: المعطيات النقدية لمشروع دريدا التفكيكي	92
- الاختلاف	93
- نقد التمركز	99
- نظرية اللعب	102
- علم الكتابة	104
- الحضور و الغياب	109
* ثالثا: كتاب "الكتابة و الاختلاف"	112
- العناوين التي اشتمل عليها الكتاب	112
✓ محتويات الكتاب	118
- أهم ما قيل حول كتاب "الكتابة و الاختلاف "	125

- العناوين التي صدر بها الكتاب	126
* رابعا: أهمية الكتابة عند دريدا	127
تمهيد	127
- مكانة الكتابة عند دريدا	129
• **الخاتمة**	137-134
• **الملحق: مصطلحات الدراسة**	141-138
• **ملخص البحث باللغة الأجنبية**	143-142
• **قائمة المصادر و المراجع**	150-144
• **الفهرس**	155-151